بحث مجال الخلق في القرآن الكريم - دراسة في الفروق الدلالية

Conference Paper · November 2019

1 author:



Abdelkareem Gabal
Tanta University

مجلة

كلية اللغة العربية بالمنصورة

مجلة علمية محكمة

المشرف العام
الأستاذ الدكتور
الموافي الرفاعي البيلي
عميد الكلية

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور
عبد المنعم عبد الله حسن
وكيل الكلية

العدد السابع والعشرون

الجزء الرابع

١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م



مجال «الخلْق»

فى القرآن الكريم

دراسة فى الفروق الدلالية

دكتور

عبد الكريم محمد حسن جبل

قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة طنطا

مقدمـــة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وجدّه أبى الأنبياء إبراهيم، وبعد

فـــإن هـــذا البحـــث معنيّ بإنشاء درس دلاليّ تحليليّ، لألفاظ مجال دلاليّ بعيـــنه، فى نصٍّ بعينه. فأما المجال الدلاليّ، فهو مجال «الخَلْق» (= الإيجاد). وأما النص، فهو التنزيل العزيز: أبْلغُ القول وأقْدسه.

ويســـتهدف البحـــث، مـــن وراء إنشاء هذا الدرس، **أن يقف على الفروق الدلالية**، إنْ كان ثمة فروق، بين ألفاظ هذا المجال، وما يتأسّس على ذلك من تعيين العلاقة – أو العلاقات – الدلالية المناسبة التى تنتظم هذه الألفاظ. **ولهذا الضـــرب مـــن الـــدرس أهميته** المقررة، من حيث إنه يفقِّه فى اللغة، ويتيح الاســـتعمال الدقيق لألفاظها، عند مَنْ يُعنَى بذلك، كما أنه يمهِّد السبيل إلى فهم أسرار استعمال أيٍّ منها في نصوص تلك اللغة.

وقـــد نهضـــتُ أولاً بتتلِّى ألفاظ هذا المجال، مُستهديًا – فى المقام الأول– بكتـــب التفسير، والفروق اللغوية، وأسماء الله الحسنى. وقد آل ذلك التتلِّى إلى تعيين الجذور اللغوية التى جاءت بها ألفاظ هذا المجال الدلاليّ القرآنى، وهى: (خ ل ق)، و(ن ش أ)، و(ف ط ر)، و(ب د أ)، و(ب ر أ)، و(ذ ر أ)، و(ب د ع).

وقـــد تـــلا ذلك إنشاءُ درْس دلاليّ تحليليّ لكل من استعمالات هذه الجذور. وتضمّن هذا الدرسُ ما يلى:

- بـــيان المعـــنى المحـــوريّ الذى تدور حوله استعمالات كل جذر من هذه الجذور.
- دراســـة استعمالات هذه الجذور، فى المعجم العربى، مع بيان وجه تحقق المعنى المحورى المعيّن فى كل منها.
- بيان عدد مرات استعمالات هذه الجذور فى القرآن الكريم.

- تعيين ما يدخل من هذه الاستعمالات فى مجال «الخلْق».
- دراسة الدلالات السياقية لهذه الاستعمالات، من خلال كتب التفسير، ومعانى القرآن وغريبه، والمعاجم العربية، وغيرها.
- محاولـــة الوقوف على المكوّن الدلالى المميِّز لهذه الاستعمالات، فى سياقها القرآنى، مع ربط ذلك بخصائص الاستعمال العربى غير القرآنى لها.

وقـــد مهّد هذا الدرس التحليليُّ السبيلَ إلى تحرير الفروق بين دلالات هذه الاستعمالات، وإلى تعيين العلاقة الدلالية المناسبة التى تنتظمها.

وعلـــى ذلك، فقد انتظم هذا البحثَ – بعد المقدمة– تمهيدٌ، وثمانية مباحث، وخاتمـــة: فأمـــا **التمهيد** فجاء بعنوان: «مجال الخلْق ومفرداته القرآنية». وقد عرّفْـــتُ فـــيه بمفهوم «المجال الدلالى»، وعيّنتُ جذور ألفاظ مجال «الخلْق» القرآنى، وبيّنتُ مصادر ذلك التعيين. وأما **المباحث السبعة التالية**، فقد استقلّ كـــلٌّ مـــنها بأحد الجذور اللغوية السبعة التى جاءت منها ألفاظ «الخلْق». وقد رتّبـــتها حسب نسبة ورودها فى القرآن الكريم: فاستقل المبحث الأول بالجذر (خ ل ق)، والـــثانى بـــ(ن ش أ)، والثالث بـــ(ف ط ر)، والرابع بـــ(ب د أ)، والخـــامس بـــــ(ب ر أ)، والسادس بـــ(ذ ر أ)، والسابع بـــ (ب د ع). وأما **المبحـــث الثامـــن**، فجاء بعنوان: «تلخيص وتحرير». وفيه لخّصتُ السمات الدلالية لكل من ألفاظ هذا المجال الدلالى، وحرّرتُ الفروق بينها. وتأسّس على ذلك تعيين العلاقة الدلالية المناسبة بين هذه الألفاظ. ثم كانت «**الخاتمة**»، وفيها عرضتُ لأهم مستخلصات البحث.

والله تعالى أسأل نعمة القبول، ومنّة التوفيق.

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾ [الكهف ١٨/١٠]

مجال الخَلْق ومفرداته القرآنية
(مبحث تمهيدى)

يعــرَّف المجــال – أو الحقــل – الدلالى بأنه «مجموعة من الكلمات ترتــبط دلالاتهــا، وتوضع عادةً تحت لفظ عامٍّ يجمعها»(١). وذلك مثل مجــال «الكَســر» الذى يضم، فى العربية، ألفاظًا مثل: الكسْر، والدَّقّ، والــرَّضّ، والسَّــحْق، والطَّحْن، والفَصْم، والقَصْم، والوَهْص، والرَّضخ، وغــيرها(٢). ومجــال «النوم» الذى يشمل ألفاظًا مثل: النوم، والهجود، والهجوع، والقيلولة، والوَسَن، والكَرَى، والنُّعاس، وغيرها(٣).

ويكون تعيين المجالات الدلالية وألفاظها، فى لغة، أو نصٍّ ما، خطوةً أولّــيةً تمهِّــد السَّبيل لإنشاء دراسة دلالية تحليلية لألفاظ كل مجال على حدة، بحيث يتضح من هذه الدراسة المعنى الدقيقُ لكل من هذه الألفاظ(٤). ويتأسَّــس علــى ذلــك تحديد العلاقات الدلالية الحاصلة بينها داخل هذا المجال، كعلاقات: الترادف، والاشتمال، والتضاد، وغيرها(٥).

---

(١) د. أحمــد مخــتار عمر: علم الدلالة ص ٧٩. وكذلك : د. كريم زكى حسام الدين: أصول تراثية فى علم اللغة ص ٢٩٤، ود. محمد على الخولى: علم الدلالة ص ١٧٤، ود. عبد الفتاح البركاوى: فى الدلالة اللغوية ص ٤٦.

(٢) ينظر: ابن السكيت: الألفاظ (باب الكسر) ص ٩٢- ٩٣.

(٣) المصدر السابق (باب النوم) ص ٤٦٧- ٤٦٩.

(٤) ينظر: د. حلمى خليل: الكلمة (دراسة لغوية ومعجمية) ص٢٦.

(٥) يــنظر فــى تفصيل القول فى العلاقات الدلالية التى قد تقع بين ألفاظ المجال الدلالى الواحد: د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص ٧٩- ١١٣، ود. حلمى خليل: الكلمة ص ١٩٤- ٢٠١، وبالمــر: علــم الدلالــة (إطار جديد) ص ٩٢ – ١٣٠، ود. محمد على الخولى: علم الدلالة ص ٩٣ – ١٣١، ١٨٠ – ١٨١.

ولا شــك أن هذه المنهجية[١] فى درْس معانى مفردات اللغة، تسهم – فى شطر منها – فى تحرير الفروق بين الألفاظ ذات المعانى المتقاربة، فى متن اللغــة عامة، أو فى بعض نصوصها خاصة. ويفضى هذا «التحرير» بدوره إلـــى إتاحـــة الاســـتعمال الدقـــيق لألفاظ اللغة، من ناحية، وإلى فقه ما وراء استعمال أيٍّ منها فى نصوص هذه اللغة، من ناحية أخرى.

وقـــد كـــان لأئمتنا، من علماء اللغة، إسهام رائد، فى إنشاء مثل هذا الـــدرس لمفـــردات العربـــية، على نحو ما يجسِّده تأليفهم لما يعرف فى درســـنا اللغـــوى بـــ«رسائل الموضوعات»، و «معاجم الموضوعات»، وأمرهما متعالم مشهور[٢].

ومجـــال « الخَلْـــق»، بعـــد، هـــو المجال الدلالى الذى ينهض هذا البحث بدراســـته، علـــى استهداء من هذه المنهجية القديمة الحديثة فى درس مفردات اللغة. وليس يدرس البحث مجال «الخلق» هذا، فى متن العربية عامة، بل فى القرآن الكريم- أفصح نصوصها وأقدسها- خاصة. **والمقصود بـــ«الخلْق»، فى اختياره عنوانًا لهذا المجال، هو الدلالة العامة على معنـــى «الإيجاد»: إيجاد الشيء بعد أن لم يكن[٣].**

---

(١) تمـــثّل هذه المنهجية أساسا لما يعرف بـــ«نظرية الحقول الدلالية»: إحدى أهم نظريات دراسة المعنى. ينظر فى تفصيل القول فيها: د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص ٧٩ – ١١٣. ود. كريم زكى حسام الدين: أصول تراثية فى علم اللغة ص ٢٩٣، ود. عبد الفتاح البركاوى: فى الدلالة اللغوية ص٤٥- ٤٩، ود. محمد على الخولى: علم الدلالة ص ١٧٤ – ١٨٢.

(٢) ينظر: د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص١٠٨- ١٠٩، ود. كريم زكى حسام الدين: أصـــول تراثية فى علم اللغة ص٢٩٨- ٣٠٣، ود. حلمى خليل: الكلمة ص ١٩٣، ود. عبد الفتاح البركاوى: فى الدلالة اللغوية ص ٤٨- ٤٩.

(٣) ينظر: ابن سيده: المحكم (خلق) ٤/ ٣٨٨.

وحـــتى أعيِّـــن ألفاظ هذا المجال الدلاليّ القرآنى، فقد راجعتُ ما تيسر لى الوقـــوف عليه من «**معاجم الموضوعات**»(١)، وهى أهم ما يمكن الرجوع إليه فى مثل هذا الضرب من الدرس، فلم أعثُر على أن أحد مؤلفى هذه المعاجم قد أفرد بابًا لجمع ألفاظ «الخَلْق» - أو ما بمعناه- فكان أن استبدلت بهذه السبيل فى تعيين ألفاظ هذا المجال الدلالى القرآنى السبلَ الآتية:

• مـــراجعة مصنَّفات «**الفـــروق**» فى تراثنا اللغوى. ومما أفدتُ منه من هذه المصنفات:

- كتاب «الفروق» لأبى هلال العسكرى (ت٤٠٠هـ تقريبا). حيث كسر أحد أبوابـــه علـــى دراسة «الفرق بين أقسام الأفعال»(٢). وقد فرّق فيه - فيما فرّق- بين «الاختراع والإبداع»، و«الفعل والفَطْر»، و«الفعل والإنشاء»، و الذَّرء والخلْق»، و«البَرْء والخلْق».
- كتاب «الكليّات» لأبى البقاء الكَفَوىّ (ت١٠٩٤هـ). حيث استطرد - لدى شـــرحه لمعـــنى «الإبـــداع»- إلى بيان معانى بعض الألفاظ القريبة منه، كالخَلْق، والاختراع، والإيجاد، وغيرها(٣).

• مراجعة المصنفات المتعلقة بـ«أسماء الله الحسنى»؛ وذلك لما بين الألفاظ الدالة على معنى «الخَلْق»، وموضوع هذه المصنفات من ارتباط جِدّ وثيق. وممـــا أفـــدت منه من هذه المصنفات: كتاب «الأسماء والصفات» للإمام

---

(١) شـــملت تلك المراجعة معاجم الموضوعات الآتية: «الغريب المصنَّف» لأبى عبيد (ت ٢٢٤هـ)، و«الألفاظ» لابن السكّيت (ت ٢٤٤هـ)، و«فقه اللغة وسر العربية» للثعالبى (ت٤٢٩هـ)، و«المخصص» لابن سيده (ت ٤٥٨هـ).

(٢) أبو هلال العسكرىّ: الفروق اللغوية ص ١٥١ - ١٥٧.

(٣) الكفوىّ: الكليات ص ٢٩-٣٠. وقد نقله عنه «هنريكوس لامنس اليسوعى» فى كتابه: فرائد اللغة فى الفروق (ص٣).

البـيهقى (ت٤٥٨هـ). فقد عقد فيه مبحثًا عَنْون له بـ«جماع أبواب ذكر الأسماء التى تتبع إثبات الإبداع والاختراع له [سبحانه]» [(١)]، ذكر فيه- فيما ذكـر- : «الـبديع»، و«الـبارئ»، و«الذارئ»، و«الخالق»، و«البادئ»، و«الفاطـر»، و«المصـور». وكلها مما تردد فى القرآن الكريم: إما بهذه الصيغ، وإما بصيغ أخرى، يدخل بعضها فى مجال «الخلق».

- مراجعة بعض كتب تفسير القرآن الكريم. حيث يستطرد بعض المفسرين، أحيانًا، لدى تفسيرهم للفظ من ألفاظ الخلق، إلى بيان الفرق بينه وبين ألفاظ أخـرى دالة على معنى «الخَلْق» فى التنزيل العزيز. هذا إلى أن مفردات تفسـير أحد هذه الألفاظ قد يقود إلى الوقوف على المزيد منها. ومما أفدتُ مـنه إفـادةً جُلّى، فى هذا الصدد: «الكشّاف» للزمخشرى (ت٥٣٨هـ)، وتفسير «المحرر الوجيز» لابن عطية (ت٥٤٦هـ).

وقـد تـلا ذلك عرضُ هذه الألفاظ على «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكـريم» للشـيخ محمد فؤاد عبد الباقى – طيّب الله ثراه- لمعرفة ما تضمنته آياتُ التنزيل العزيز منها؛ فيدخل فى زمام البحث، وما لم تتضمنه؛ فيستبعد.

وقـد آل هـذا العـرض إلـى تعيين الجذور التى جاءت منها ألفاظ – أو اسـتعمالات – تؤلـف مجـال «الخَلْـق» القـرآنى، وتلكم هى: (ب د أ) – (ب د ع) – (ب ر أ) – (خ ل ق) – (ذ ر أ) – (ف ط ر) – (ن ش أ).

---

(١) البـيهقى: الأسـماء والصفات ص ١٦- ٣١. وقد تابعه القرطبىّ فعقد مبحثًا بالعنوان نفسـه فى كتابه: الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى (ص٢٧٣- ٣٩٢). وقد أفاد فيه كثـيرًا من كتاب البيهقى. وكذلك: د. أحمد مختار عمر: أسماء الله الحسنى (دراسة فى البنية والدلالة) ص ١١١.

وقــد غلّبــت لفظ «الخَلْق» ليكون عنوانًا لهذا المجال الدلالى؛ لأنه أكثر ألفاظه دورانًا في التنزيل العزيز. وقد مهّد تعيينُ هذه الألفاظ السبيلَ نحو إنشاء دراسة دلالية تحليلية لكل منها على حدة، لتتضح - بعد- الفروق بينها.

وقــد رُتبت هذه الألفاظ فى المعالجة التحليلية حسب عدد مرات ترددها فى القرآن الكريم. وهاكم تفصيل ذلك:

* * *

١- (خ ل ق)

تــدور استعمالات الجذر (خ ل ق) حول معنى «تهيئة مادة (غُفْل) لتكون شيئًا معيَّنًا مرادًا»(١)، وقد عبّر بعض أئمتنا عن هذه «التهيئة» بلفظ «التقدير» (والأمر فيهما قريب)(٢):

- قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): «وأصل الخَلْق: التقدير»(٣).
- وقــال ابــن فارس (ت٣٩٥هـ): «الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما: تقدير الشيء»(٤).
- وقــال الراغب الأصفهانى (ت ٤٢٥هـ تقريبا): «وأصل الخلق: التقدير المســتقيم»(٥). وقــال بذلــك المعــنى أيضًا: الجوهرى(٦) (ت٣٩٨هـ)، والسَّمين الحلبى(٧)(ت٧٥٦هـ)، والفيومى(٨)(ت٧٧٠هـ) وغيرهم(٩).

---

(١) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (خلق).

(٢) جاء في لسان العرب (قدر) ٥/ ٣٥٤٧: «وقدْر كل شيء ومقداره: مقياسه.. والتقدير يــأتى على وجوه من المعاني: أحدها: التروية فى تسوية أمر وتهيئته. والثاني: تقديره بعلامات يقطّعه عليها».

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٥٠٧.

(٤) مقايــيس اللغــة (خلق) ٢/ ٢١٣. وأما الأصل الآخر فهو «ملاسة الشيء». وسيتبين لاحقًا دخول هذا الأصل الثانى تحت معنى «التهيئة» أو «التقدير».

(٥) المفردات ص ٢٩٦.

(٦) ينظر: الصحاح (خلق) ٤/ ١٤٧٠.

(٧) ينظر: عمدة الحفاظ ص ٦٠٦ (نقله عن الراغب الأصفهانى).

(٨) ينظر: المصباح المنير (خلق) ص ١٨٠.

(٩) ينظر: الغزالى: المقصد الأسنى (شرح أسماء الله الحسنى) ص ٦٦، وابن الجوزى:= نــزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر ص ٢٨٣، والفيروزابادى: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٥٦٦.

ومن استعمالات (خ ل ق) :

- قـال الأزهرىّ (ت ٣٧٠هـ) : «والعرب تقول: خَلَقْت الأديمَ: إذا قدَّرته وقِسْته لتقطع منه مزادةً، أو قِرْبة، أو خُفًّا»[١]. وقال الزمخشرىّ (ت٥٣٨ هـ): «خلَق الجزارُ الأديم، والخياطُ الثوبَ: قدّره قبل القطع»[٢].

فـالأديم (أو الثوب، أو نحوهما) هو المادة «الغُفْل» التى تُهيَّأ لتصبح قِربة، أو خُفًّا، أو غيرهما. وتحصُل تلك التهيئة برسم خطوط، أو نحو ذلك، على سطح تلك المادة الغُفْل. يقول ابن عطية (ت٥٤٦هـ): «خَلَقْتُ الأديمَ: إذا عملت فيه رسومًا يُقطَّع عليها»[٣].

- وقولهم: «اخلولق السحاب»: استوى وارتتقت جوانبه «وتهيَّأ للمطر»[٤].

- وقولهم: «سهم مخلَّق: أملس مستوٍ»[٥] أى: «اتخذ تمام هيئته الصالحة لقوة انطلاقه ونفاذه»[٦].

- ومن المكوّن الدلالى «الملاسة»، وهو أحد مقوّمات «التهيئة» أو «التسوية» لأداء المهمة فى السهم وغيره، جاء قولهم:

«هضبة خلقاء»: مصمتة ملساء لا نبات بها[٧].

---

(١) تهذيب اللغة (خلق) ٧/ ٢٦. وكذا: (خلق) فى: الصحاح ٤/ ١٤٧٠، واللسان ٢/ ١٢٤٤، والمصباح المنير ص١٨٠، وتاج العروس ٢٥/ ٢٥١- ٢٥٢(طبعة الكويت)

(٢) أساس البلاغة (خلق) ص٢١١.

(٣) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ١١/ ٤.

(٤) ابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/ ٧٢ وكذا: اللسان (خلق) ٢/ ١٢٤٧- ١٢٤٨.

(٥) اللسان (خلق) ٢/ ١٢٤٧- ١٢٤٨.

(٦) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (خلق).

(٧) ينظر: (خلق) فى اللسان ٢ / ١٢٤٦، والتاج ٢٥/ ٢٥٨- ٢٥٩.

و«اخلولق الرسم» : استوى بالأرض[١].

و«اخلولق الفرس» إذا املّس[٢].

و«خلُق الثوب» : إذا بَلِيَ[٣]؛ «وذلك أنه إذا أخْلَق امْلاسَ وذهب زئبره»[٤].

- ومن معنويّ معنى «التهيئة الحسيَّة» جاء قولهم: «الخُلُق» لسجيّة الإنسان[٥]، أو: ما خُلِق عليه من الطبع[٦] «كأنه الهيئة التى سُوّى (طُبع) وصُوِّر عليها»[٧].

- وكذا جاء قولهم : «فلان خليق لكذا، أى: جدير به... كأنه ممن يقدَّر فيه ذاك وتُرى فيه مخايله»[٨]. وكذا قولهم: الخَلاَق: الحظ والنصيب[٩]؛ «لأنه قد قُدِّر لكل أحد نصيبه»[١٠]، أو لأن النصيب «قدَر مهيأ ومسوًّى على قَدْر عمل»[١١].

(١) ينظر: (خلق) فى اللسان ٢ / ١٢٤٧، والتاج ٢٥/ ٢٥٣.

(٢) ينظر: التاج (خلق) ٢٥/ ٢٥٣.

(٣) ينظر: (خلق) فى اللسان ٢ / ١٢٤٦، والتاج ٢٥/ ٢٥٥.

(٤) ابن فارس: مقاييس اللغة (خلق) ٢/ ٢١٤.

(٥) ينظر: اللسان (خلق) ٢ / ١٢٤٤.

(٦) ينظر: التاج (خلق) ٢٥/ ٢٥٧.

(٧) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (خلق).

(٨) اللسان (خلق) ٢/ ١٢٤٨. وكذلك: مقاييس اللغة (خلق) ٢/٢١٤.

(٩) ينظر: اللسان (خلق) ٢/ ١٢٤٨.

(١٠) مقاييس اللغة (خلق) ٢ / ٢١٤.

(١١) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (خلق).

- وأما (خ ل ق) فى القرآن الكريم، فقد ترددت بعض استعمالاته فيه مائتين وستًا وستين مرة[١]. وتدخل هذه الاستعمالات كلُّها فى مجال «الخلق»- بما يغلب على تفسيره من معنى «الإيجاد»- ما عدا استعمالين، هما: الـ«الخَلاق» و «الخُلُق»، وقد ترددا فى التنزيل العزيز ثمانى مرات[٢].

ووفقًا لتفسير ائمتنا لدلالة استعمالات (خ ل ق) فى القرآن الكريم، على ما سيفصّل لا حقًا، فإنه يمكن تقسيم هذه الاستعمالات إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: استعمالات أُسند فيها «الخلْق» إلى المولى عز وجلّ. وهذا هو القسم الأوفر عددًا.

القسم الثانى: استعمالات أُسند فيها «الخلْق» إلى غيره- تقدّس وتنزه.

فأما القسم الأول، فنقدّم بين يدى مناقشة أقول أئمتنا فى معنى لفظ «الخلْق» فى آياته، بغرض المصاحبات اللغوية collocations التى ارتبط بها لفظ «الخلْق»، أو وقع معناه عليها، فى تلك الآيات[٣].

لقد تنوعت المصاحبات اللغوية للفظ «الخلْق»، فى القرآن الكريم، تنوعًا كبيرًا، بحيث يمكن النظر إلى هذا اللفظ، بحسب وفرة مرات تردده، وتنوع

---

(١) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٢٤١- ٢٤٥.
وينظر كذلك: د. أحمد الشرباصى: موسوعة له الأسماء الحسنى ١/ ٨٨- ٩٣.

(٢) وذلك كقوله تعالى: (فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ) [البقرة :٢/ ٢٠٠]، و (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم :٦٨/ ٤].

(٣) المقصود بالمصاحبات اللغوية للفظ ما، هو تلك الألفاظ التى تجاوره، على نحو متكرر، فى تراكيب اللغة محلّ الدرس. واعتبار مثل هذه المصاحبات هو أمر جدّ مهم لدى الشروع فى إنشاء وصف لدلالة ذلك اللفظ. ينظر فى تفصيل القول فى ذلك:= = د. محمد حسن عبد العزيز: المصاحبة فى التعبير اللغوى (الكتاب كله)، ومدخل إلى اللغة ص ١٥١- ١٥٣، وكذا: د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص ٧٤، ود. كريم زكى حسام الدين: التعبير الاصطلاحى ص ٢٥٧.

مصـــاحباته، علـــى أنه اللفظ الأساسىَ الأهم فى هذا المجال الدلالى[١]، أعنى مجال الدلالة على «الإيجاد» فى القرآن الكريم، على الأقل.

ومن تلك المصاحبات:

- **«كل شيء»:**

كقوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٢]، و ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [٣]، وغيرهما[٤].

- **«ما يشاء»:**

كقولـــه تعالى: ﴿ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٥]، و﴿ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾[٦]، وغيرهما[٧].

- **«السموات والأرض»[٨]:**

كقوله – جل وعزّ– ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾[٩]، و﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾[١]، وغيرهما كثير وافر[٢].

---

(١) تصـــنَّف كلمات المجال الدلالى، أى مجال، إلى كلمات أساسية وأخرى هامشية. ومن أهم معايير ذلك التصنيف هو مدى رحابة مجال استعمال كل من تلك الكلمات (= عدد مصـــاحباتها اللغوية)، إلى نسبة ترددها فى الاستعمال اللغوى قياسًا إلى قريناتها داخل المجال الدلالى نفسه. ينظر: د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص ٩٦- ٩٧.

(٢) الأنعام ٦/١٠١.

(٣) الرعد ١٣/ ١٦.

(٤) مثل: الأنعام ٦/ ١٠٢، والزمر ٣٩/ ٦٢، وغافر ٤٠/ ٦٢.

(٥) آل عمران ٣/ ٤٧.

(٦) النور ٢٤/ ٤٥.

(٧) مثل: المائدة٥/١٧، والقصص٢٨/ ٦٨، والروم٣٠/ ٥٤، والزمر٣٩/ ٤، والشورى٤٢/ ٤٩.

(٨) «السموات والأرض» من أكثر مصاحبات «الخلق» ترددًا، إذ تردّد ستًا وأربعين مرة.

(٩) الأنعام ٦/ ٧٣.

- «الإنســـان» [٣] دون ذكر لمراحل خَلْقه، أو مع ذكر لهذه المراحل: بعضها أو جلّهـــا: كقولـــه تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسَانَ [٣] عَلَّمَهُ الْبَيَانَ [٤]﴾[٤]، و﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ [١٢] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ [١٣] ثُـــمَّ خَلَقْـــنَا الـــنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً﴾[٥]، وغيرهما[٦].
- وغـــير ذلـــك مـــن مخلوقـــات، «كالجن»[٧]، و«الأنعام»[٨]، و«الإبل»[٩]، وغيرها.

---

(١) الدخان ٤٤/ ٣٨.

(٢) مـــثل: الأعـــراف ٧/ ٥٤، والـــتوبة ٩/ ٣٦، والفرقان ٢٥/ ٣٩، والسجدة ٣٢/٤، والزخرف ٤٣/٩، والطور ٥٢/٣٦. كما وقع لفظ «الخلق» كذلك على ما «في السموات والأرض»: ﴿إِنَّ فِـــي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَـــوْمٍ يَـــتَّقُونَ﴾ [يونـــس ١٠/ ٦]. وعلى «السموات» فقط: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَـــرَوْنَهَا﴾ [لقمان ٣١/ ١٠]، وكذا: الملك ٦٧/٣، ونوح ٧١/ ١٥. وعلى «الأرض» وحدها: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت ٤١/ ٩].

(٣) بلفظه، أو بالكناية عنه بالضمائر.

(٤) الرحمن ٥٥/ ٣، ٤.

(٥) المؤمنون ٢٣/١٢، ١٣، ١٤.

(٦) مثل: الأنعام ٦/ ٢، والأعراف ٧/ ١٢، والروم ٣٠/ ٥٤، والسجدة ٣٢/ ٧، والصفات ٣٧/ ١١، والطارق ٨٦/ ٥.

(٧) مثل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥١/ ٥٦]، وكذا: الرحمن ٥٥/ ١٥.

(٨) مـــثل: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل ١٦/ ٥]، وكذا يس ٣٦/ ٧١.

(٩) ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية ٨٨/ ١٧].

ولــدى تفسير هذه الآيات التى أُسند فيها «الخَلْق» إلى الله – تعالى- حاول أئمتنا التوفيق بين الأصل اللغوى لهذا اللفظ – وهو «التهيئة» أو «التقدير» – كمــا مــرّ- ومــا شاع فى «العرف العام»- على حدّ قول الشيخ محى الدين زاده[1] (ت٩٥١هــــ) – مــن دلالــته على معنى «الإنشاء والابتداع»[2]، أو «اختراع الأعيان»[3].

وقد عبروا ، فى توفيقهم هذا ، بمثل:

- قــول الزمخشــرى (ت٥٣٨هــــ): «الخَلْــق: إيجــاد الشيء على تقدير واســتواء»[4]. وقولــه أيضا: «خَلَق الله الخَلْق: أوجده على تقدير أوجبته الحكمة».
- وقول ابن عطية (ت٥٤٦هــ) : «الخَلْق: إنشاء الشيء على تقدير وترتيب حِتْمِىّ»[5] أى: ذى حِكمة ، وليس جزافيًّا.
- وقول ابن الجوزى (ت ٥٩٧هــ): «الخَلْق: إيجاد على تقدير وترتيب»[6].

---

(١) فى حاشيته على تفسير البيضاوى ١/ ١٨٠.

(٢) يــنظر: ابــن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٥٠٧. وكذلك: الأزهرى: تهذيب اللغة (خلق) ٧/ ٢٦ (وفــيه- مــن كــلام ابن الأنبارى-: «الإنشاء على مثال أبدعه»)، والراغب الأصفهانى: المفردات ص ٢٩٦ (فيه: «إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء»).

(٣) ينظر: القرطبى : الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٣٣.

(٤) الكشــاف ١/ ٩٧ (فى تفسير : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة ٢/ ٢١]. وقد نقل عنه هذا التعريف للخلق كل من البيضاوى (ت٦٨٥هــ) وأبى السعود (ت ٩٥١هــ) فى تفسيريهما. (ينظر: تفسير البيضاوى ١/ ١٨٠، وتفسير أبى السعود ١/ ٥٩).

(٥) المحرر الوجيز١٣/٣٥٩(فى تفسير﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق ٥٠/ ١٦]).

(٦) نزهة الأعين النواظر فى علم وجود النظائر ص ٣٨٢.

- وقول البيضاوى (ت٦٨٥هـ): «﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: أحدثه إحداثًا مراعىً فيه التقدير حسب إرادته»[١].

- وعلى ذلك فسَّر معنى «الخالق» اسمًا من الأسماء الحسنى، فيما فسَّر ، بأنه «المقدِّر لما يوجده» على حدّ قول الزمخشرى[٢].

هـذا، مع ورود أقوال تفسّر الخلق – مُسندًا إليه سبحانه – بمطلق الإيجاد، أو الإيجاد والاختراع، على نحو ما مرّ من قول ابن قتيبة – مثلاً –: «الخَلْق:الإنشاء والابتداء. قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٣]». وقال السَّمين الحلبى (ت ٧٥٦هـ): «قوله تعالى: (خلقكم) أي: اخترعكم وأوجدكم»[٤].

- **وأما الآيات التى أُسند فيها «الخَلْق» إلى غيره – عز وجل– فقد جاءت** فى صورتين تعبيريتين أساسيتين:

الأولى: صورة تنفى قدرة غير الله – تعالى– من البشر، أو مما يعبدون من دونه – سبحانه – على «الخَلْق».

الثانية: صورة تسند «الخَلْق» لغيره سبحانه.

---

(١) تفسير البيضاوى (بحاشية زاده) ٣/ ٤٤٢. والآية المفسَّرة من سورة الفرقان ٢٥/٢. وينظر – كذلك – التفسير نفسه ٣/ ١٦٧.

(٢) ينظر: الكشاف ٤/ ٤٩٧ (فى تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر ٥٩/ ٢٤]) وقد نقله عنه أبو حيان فى «البحر المحيط» ٨/ ٢٤٩ دون عزو. وينظر كذلك: البيهقى: الأسماء والصفات ص٢٥، والغزالى: المقصد الأسنى ص ٦٤، والقرطبى: الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٣٢ – ٣٣٣.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٥٠٧. والآية من سورة الأعراف ٧/ ١٨٩.

(٤) عمدة الحفاظ ١/ ٦٠٦. والآية من سورة البقرة ٢/ ٢١، والنساء ٤/ ١، وكثير غيرهما. وينظر كذلك: تفسير الطبرى ١/ ٤٥٣، وابن سيده: المحكم (خلق) ٤/ ٣٨٨.

فأما الصورة الأولى، وهى الأوفر عددًا، فمن أمثلتها قوله تعالى:
- ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[١].
- و﴿ الَّذِيــنَ تَدْعُــونَ مِــن دُونِ اللَّـــهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾[٢]، وغيرهما[٣].

وقــد غلــب، فــى جهــد أئمتنا، تفسير «الخَلْق»، فى هذه الآيات بمعنى «الإيجــاد». يقول ابن عطية (ت٥٤٦هـــ) – مثلا – فى تفسير الآية الأخيرة: «... وبــدأ تعــالى بنفى الخَلْق والاختراع عنهم من حيث هى صفة ثابتة له، مختصة به. فكأنه قال: ليس لهم صفتى»[٤].

وأمــا الصــورة الثانية التى أسند فيها «الخلق» لغيره – تعالى- فتشمل أربــع آيات فقط: **تتعلق الأوليان بسيدنا عيسى – عليه السلام – والثالثة بعبدة الأصــنام مــن قــوم سيدنا إبراهيم – عليه السلام – وأما الرابعة، فيفهم منها اتصاف غيره – سبحانه – بصفة «الخلق»، مع كونه – تعالى – «أحسنهم».**

فأما آيتا سيدنا عيسى – عليه السلام – فهما:

﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ ﴾[٥]، و﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي ﴾[٦].

---

(١) النحل ١٦/ ٢٠.

(٢) الحج ٢٢/ ٧٣.

(٣) مثل: الأعراف ٧/ ١٩١، والرعد ١٣/ ٦، والفرقان ٢٥/٣، وفاطر ٣٥/٦، والأحقاف ٤٦/٤، والطــور ٥٢/ ٣٦. ويلاحظ أن القول بإسناد الخلق لغير الله تعالى فى هذه الآيات، ونحوها، قد اعتُبر فيه البنية التركيبية (أو الصناعة النحوية) لهذه الآيات.

(٤) المحرر الوجيز ١٠/ ٣٢٢.

(٥) آل عمران ٣/ ٤٩.

(٦) المائدة ٥/ ١١٠.

وقد فسر «الخلق» هاهنا بمعنى «**التهيئة والتقدير**»:

- قـــال الزمخشرى (ت ٥٣٨هــ): «(أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) أى: أقــدّر لكــم شيئا مثل صورة الطير (فأنفخ فيه)...أى فى ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) : فيصير طيرًا كسائر الطيور حيًّا»[١].
- وقال ابن عطية (ت٥٤٦هــ): "و(أخلق) معناه: **أقدّر وأهيِّئ** بيدى»[٢].

وبمثل ذلك قال غيرهما كذلك[٣].

وكذا الشأن فى الآية الثانية:

- قال ابن عزيز (ت٣٣٠هــ) : «(تخلق من الطين) أى: **تقدّر**»[٤].
- وقال ابن عطية: «و(تخلق) معناه: **تقدّر وتهيِّئ** تقديرًا مستويًا متقنًا»[٥].

وقــد كان للقرائن المقالية، فى الآيتين، دور فى الاستدلال على أن المراد بلفــظ «الخلــق» فيهما هو «التهيئة» لا «الإيجاد». قال ابن عطية: «وقوله: (لكم) تقييد لقوله: (أخلق)؛ لأنه يدل دلالةً ما على أنه لم يرد الإيجاد من العدم. ويصـــرح بذلك قوله (بإذن الله)»[٦]. وقال البيضاوى (ت٦٨٥هــ): «نبّه [أى

---

(١) الكشاف ١/ ٣٥٨.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٧.

(٣) يــنظر: تفســير القرطبى ٤/ ٩٣،وكذا كتابه: الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٣١، وتفسير البيضاوى ١/ ١٥٧، وتفسير أبى السعود ٢/ ٣٨- ٣٩.

(٤) غريب القرآن ص ١٣٧.

(٥) المحـــرر الوجيز ٥/ ٩٩. وقد فصّل الإمام الطبرى ذلك الشأن برواية عن ابن اسحاق نصّـــها: «جلس [أى: عيسى عليه السلام] يومًا مع غلمان من الكتّاب، فأخذ طينًا، ثم= =قـــال: أجعل لكم من هذا الطين طائرًا؟ قالوا: وتستطيع ذلك؟ قال: نعم بإذن ربى. ثم هيّأه، حتى إذا جعله فى هيئة الطير، نفخ فيه، ثم قال: كن طائرًا بإذن الله، فخرج يطير بين كفّيه...» (تفسير القرطبى ٥/ ٤١٩).

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ١٢٧.

عيســـى عليه السلام] به [أى بقوله : بإذن الله] على أن إحياءه [أى الطير] من الله تعالى، لا منه»[١].

وأما الآية الثالثة، فقوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[٢].

فالتركيب (أحسن الخالقين) يدل على أن ثمة من يخلق غيره[٣] – جل وعزّ – وهنا يواصل أئمتنا تفسير «الخلْق» بمعنى «التقدير» أو «الصنع» ، فإنهما مـــن شأن البشر كذلك. وأما «الخلْق» ، بمعنى «الإيجاد»، فلا يتصف به إلا رب العــزّة ســبحانه. يقول ابن عطية (ت٥٤٦هـ): «ولا تُنفى اللفظة [أى: الخلْق] عن البشر فى معنى الصُنع، وإنما هى منفيّة بمعنى الاختراع والإيجاد من العدم»[٤].

فمن التفسير بـ«التقدير»:

- قــول ابــن الأنبارىّ (ت ٣٢٨هـ): «(فتبارك الله أحسن الخالقين) معناه: أحسن **المقدّرين تقديرًا**»[٥]. وبذلك قال أيضا الزمخشرى[٦] (ت٥٣٨هـ)، والبيضاوى[٧] (ت ٦٨٥هـ) ، وأبو السعود[١](ت٩٥١هـ).

---

(١) تفسير البيضاوى ١/ ٦٢٩.

(٢) المؤمـــنون ٢٣/ ١٤. وتمـــام سياقها: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ [١٢] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَـــةً فِـــي قَـــرَارٍ مَّكِينٍ [١٣] ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [١٤] ﴾

(٣) ينظر: الراغب الأصفهانى: المفردات ص ٢٩٦.

(٤) المحـــرر الوجـــيز ١٠/ ٣٤٠. ويـــنظر كذلك: ابن عزيز : غريب القرآن ص ١٣٧، واللسان (خلق) ٢/ ١٢٤٤.

(٥) ابن الأنبارى: الزاهر فى معانى كلمات الناس ١/ ١٨٤، والأضداد ص ١٥٩. وكذلك: الأزهرى: تهذيب اللغة (خلق) ٧/ ٢٦.

(٦) ينظر: الكشاف ٣/ ١٧٤

(٧) ينظر: تفسير البيضاوى ٣/ ٣٣٩.

ومن التفسير بــ «**الصُّنع**»:

- قــول الطــبرىّ(ت٣١٠هــــ) : «(فتبارك الله أحسن الخالقين) قال [أى: مجـــاهد]: **يصنعون ويصنع الله**، والله خير **الصانعين**»[٢]. وقد عدّ الطبرىّ هذا التفسير هو الأولى بالصواب «لأن العرب تُسمّى كل صانع خالقًا»[٣]. وبمثل ذلك قال ابن عطية[٤] (ت٥٤٦هــ) والقرطبى[٥](ت٦٧١هــ).

وأما الآية الرابعة، فقوله سبحانه- على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام-: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً ﴾[٦].

وقد فسَّر «خَلْق» الإفك- كذلك - بأنه «صُنْعه»، أو «تقديره»، أو «تأليفه»:

- قــال الطــبرى - عــن ابــن عباس-:«(وتخلقون إفكًا) يقول: و**تصنعون** كذبًــا»[٧]. وقــد عدّ الطبرىّ هذا القول فى تفسير «خلْق» الإفك هو أولى الأقوال بالصواب[٨]، ثم قال: «فتأويل الكلام إذن : إنما تعبدون من دون الله

---

(١) ينظر: تفسير أبى السعود ٥/ ١٢٦ – ١٢٧.

(٢) تفسير الطبرى ١٧/ ٢٥.

(٣) المصــدر الســابق، الصــفحة نفسها. والقول الآخر الذى جعل الطبرى تفسير الخلق بالصنع أولى منه هو قول من قال : «إنما قيل (فتبارك الله أحسن الخالقين)؛ لأن عيسى بن مريم يخلق، فأخبر جلّ ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق».

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ١٠/ ٣٣٩ (فيه : «أحسن الصانعين»).

(٥) ينظر: تفسير القرطبى ١٢/ ١١٠ (فيه: «اتقن الصانعين»).

(٦) العنكبوت ٢٩/ ١٧.

(٧) تفسير الطبرى ١٨/ ٣٧٤.

(٨) يــنظر: تفســير الطــبرى ١٨/ ٣٧٤- ٣٧٥. ومن الأقوال الأخرى التى رجح عليها الطــبرى تفســير الخلــق بالصنع قول من قال: «تنحتون إفكًا»، ومن قال: «تصنعون أصـــنامًا». وقــد ذكر الطبرى أن ترجيحه هذا مؤسس على ما سبق أن بيّنه من معنى الخلــق. قلــت: ولعلــه يقصد ما قاله فى ذلك لدى تعرضه لتفسير قوله تعالى: (أحسن الخالقين) (١٧/٢٥).

أوثانًا، وتصنعون كذبًا باطلاً»[١]. وذلك الباطل هو «تسميتهم الأوثان آلهة وشركاء لله، أو شفعاء إليه»[٢].

- وقال أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) : «(وتخلقون إفكًا) ...تقدِّرون كذبًا وتخرصونه وتؤلفونه»[٣].
- وقال ابن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ) : «(وتخلقون إفكًا) معناه وتقدرون كذبًا»[٤].

وأقول، بعد: إن الاستعمال العربى القديم للفظ «الخلْق»، فيما نحن بصدده، قد جرى على استعماله بمعنى «التقدير» أو «التهيئة»، كتهيئة الأديم برسم خطوط أو نحوها على سطحه، لتُصنع منه القِرَب وغيرها، على نحو ما فصَّلنا فى صدر هذا البحث.

كما أن مما يستفاد من شواهد هذا الاستعمال العربى القديم أن مرحلة «التهيئة»، تلك المعبَّر عنها بـ«الخلْق»، منفصلة عن مرحلة «تنفيذ» ما هُيِّئ. ومن تلك الشواهد:

- قول زهير بن أبى سلمى (فى مدح هرم بن سنان):

ولأنتَ تَفْرِى ما خلقتَ وبعـ ... ـضُ القوم يخلُق ثم لا يفرى

قال ثعلب : «الخالق: الذى يقدِّر ويهيِّئ للقطع. والفَرْى: القطع. يقول: إذا

---

(١) تفسير الطبرى ٣٧٥/١٨.

(٢) الزمخشرى: الكشاف ٣/ ٤٣٢.

(٣) أبو حاتم الرازى: الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية. والذى فى «مجاز القرآن» لأبى عبيدة (١١٤/٢): «تختلقون وتفترون». وقد ذكره الرازى بعد ذلك أيضًا.

(٤) ابن الأنبارى: الزاهر فى معانى كلمات الناس ١/ ٩٩، والأضداد ص١٥٩. وينظر كذلك: الزجاجى: اشتقاق أسماء الله ص ١٦٧، وتفسير النسفى ص ٨٨٨.

تهيَّأتَ لأمر مضيتَ فيه»[١]. وقال الأزهرى (ت٣٧٠هـ) – فى شرحه كذلك– : «يمــدح رجلاً فيقول له: أنتَ إذا قدَّرْتَ أمرًا قطعتَه وأمضيتَه، وغيرك يقدِّر ما لا يقطعه؛ لأنه غير ماضى العزم، وأنت مضّاء على ما عزمتَ عليه»[٢].

- حديث اخت أمية بن أبى الصلت: «قالت: فدخل علىَّ وأنا **أخلُق** أديمًا، أى: **أقدِّره لأقطعه**»[٣].

- قول الحجّاج (ت ٩٥هـ): «ما **خلقتُ** إلا **فريتُ**، وما وعدتُ إلا وفيتُ»[٤].
أى : ما قدَّرتُ إلا قطعت[٥].

- قول الكميت[٦] (ت١٢٦هـ):

أراد الناسُ من خَلَقى نزارٍ ضلالاً يمتنعن ويلتوينا
أرادوا أن تزايل خالقاتٌ أديمَهُمُ يقسْن ويفترينا

---

(١) شرح شعر زهير ص٨٢. وكذلك: الزجاجى: اشتقاق أسماء الله ص١٦٦، و(خلق) فى تهذيب الأزهرى ٧/٢٦، وصحاح الجوهرى ٤/١٤٧٠- ١٤٧١، ومقاييس ابن فارس ٢ / ٤١٤.

(٢) التهذيب (خلق) ٧/ ٢٦.

(٣) ابن الأثير: النهاية ٢/ ٧١. وكذلك: (خلق) فى اللسان٢/ ١٢٤٥، وتاج العروس ٢٥/ ٢٥٢.

(٤) ينظر: تفسير القرطبى ١/ ٢٢٦، وتفسير البيضاوى ١/ ١٨٠، و(خلق) فى اللسان ٢/ ١٢٤٥، وتاج العروس ٢٥/ ٢٥٢.

(٥) ينظر: الزجاجى: اشتقاق أسماء الله ص ١٦٦ (لم يُسمِّ الحجّاج، وإنما قدّم للعبارة بقوله: «وفى كلام بعض الفصحاء»).

(٦) شعر الكميت جـ٢ (القسم الأول) ص ١٢٣ (فيه «يمترينا» بدلاً من «يفترينا». وهو تحريف). وكذلك: ابن الأنبارى: الأضداد ص ١٥٩ – ١٦٠ (فيه: «أديمَيهم»)، و(خلق) فى اللسان ٢/ ١٢٤٥، وتاج العروس ٢٥/ ٢٥٢.

قال الأزهرى (ت٣٧٠هـ) - فى شرحهما- : «يصف ابنى نزار بن مَعَدّ- وهما: ربيعة ومُضَر- أراد أن نسبهم وأديمهم واحد. فإذا أراد خالقات الأديم التفريق بين نسبهم تبيّن لهنّ أنه **أديم واحد لا يجوز خَلْقه للقطع**. وضَرَبَ النساء الخالقات للأديم مثلاً للنسّابين الذين أرادوا التفريق بين ابنى نزار. ويقال: زايلت بين الشيئين وزيّلت: إذا فرّقت»(١).

والشاهد، هنا، هو التمييز بين مرحة القياس أو التقدير (يقسن)، ومرحلة القطع (يفترين)، لدى من يصنع من الأديم شيئا (يخلقه).

- قول الكميت كذلك :

لم تَجْشَم الخالقاتُ فِرْيَتها ولم يَفِض من نُطافها السَّرَبُ(٢)

قال أبو حاتم الرازى (ت ٣٢٢هـ) فى شرحه: «يعنى بالخالقات: اللاتى **يقدّرن** من الأديم المزاد والقِرَبَ، فهنّ يخلُقنه، أى: **يقدّرنه. وفِرْيتها: قطْعها**». وقال فى موضع تالٍ شرحًا للبيت نفسه كذلك: «**الخالقات**: النساء اللواتى يخرزن المزاد والقِرَب **ويقدّرنه**. يصف حواصل الطير، يشبّهها بالمزاد.

---

(١) تهذيب اللغة (خلق) ٧/ ٢٧.

(٢) أبو حاتم : الزينة ٢/ ٥٣، ١٣٣، وكذلك: (خلق) فى مجمل ابن فارس (٢/ ٣٠١)، ومقاييسه (٢/ ٢١٣) باختلاف فى بعض الألفاظ عن رواية أبى حاتم الرازى. وجَشِم الشيءَ يَجشَمه: تكلّفه على مشقة [اللسان (جشم) ١/ ٦٢٩]. و«النطاف»: الماء القليل يبقى فى القِرْبة [اللسان (نطف) ٦/ ٤٤٦١]. و«السَّرَب»: الماء السائل من المزادة ونحوها [اللسان (سرب) ٣/ ١٩٨٢]. يريد أنها حواصل متينة؛ لأنها ربانية الصنع؛ فلا يتسرب منها ماء، مهما شربت تلك الطيور. ولو كانت تلك الحواصل من صنع البشر (الخالقات) فلربما عاب ذلك الصنع ثقوب أو نحوها، يتسرب منها الماء. وذلك على تشبيه تلك الحواصل بالمزاد (جمع مزادة)، على ما ذكر أبو حاتم الرازى.

يقــول: ليست من خَرْز هؤلاء الخالقات، يعنى: المقدِّرات من النساء، فيخرج المــاءُ مــن خَرْزها». والشاهد، هاهنا كذلك، هو تميُّز القطع، بوصفه مرحلةً تالية لمرحلة الخَلْق (التقدير أو التهيئة). وقد عُبر عن هذا القطع بلفظ «الفرى» كذلك.

هذا إلى أن بعض الآيات القرآنية تشهد بذلك أيضا، أعنى بأن مرحلة تهيئة المــادة الغُفْــل لــتكون شيئا ما – وهى المرحلة المعبَّر عنها بـــ«الخلْق» – منفصلة عن مرحلة تنفيذ ما تمت تهيئته. ومن تلك الآيات:

- آيتا سيدنا عيسى – عليه السلام – اللتان مرَّتا منذ قليل:

﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ﴾[١]، و﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾[٢].

فجَعْــل الطيــن على هيئة شكل الطير – وقد عُبِّر عن ذلك بـــ«الخلْق» – مــرحلة ، ثــم بــثّ الروح فى تلك الهيئة لتصبح طيرًا حقيقيًا مُعاينًا مرحلةً أخرى.

- ثم لننظر كذلك فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣]. قال الزمخشرى: «(خلقه من تراب) قدَّره جسدًا من طين (ثم قال له كن) أى: أنشأه بشرًا»[٤]. فهما مرحلتان: تهيئة أو تقدير، ثم إيجاد ببث الروح والحياة.

---

(١) آل عمران ٣/ ٤٩.

(٢) المائدة ٥/ ١١٠.

(٣) آل عمران ٣/ ٥٩.

(٤) الكشاف ١/ ٣٦١. وينظر كذلك: تفسير أبى السعود ٢/ ٤٥ (فيه – بعد أن ذكر ما قاله الزمخشرى –: «أو قدَّر تكوينه من التراب ثم كوّنه»).

فقـد جـرى الاستعمال القرآنى، إذن، على الاستعمال العربى القديم للفظ «الخلـق»، فـى هذا المجال الدلالى، أعنى على قولهم: خلَق الأديمَ: إذا هيَّأه وقدَّره، بالرسم على سطحه أو نحو ذلك، لينفذ منه قِرْبة، أو مزادة، أو خُفًّا، أو غـيرها. قال ابن الأثير (ت٦٠٦هـ): «وأصل الخَلْق: التقدير قبل القطع»(١). ثـم تكـون، بعد ذلك ، مرحلة التنفيذ (القطع على وفق التهيئة السابقة)، وهى المـرحلة الـتى غلب عليها التعبير بـ «الفَرْى»، على نحو ما رأينا فى بيت زهـير، وكلمة الحجّاج، وبيتى الكميت، وجاء فى اللسان: «والفَرْى: القطع... وفـى حديـث حسّان: لأفرينّهم فَرْى الأديم، أى : أقطّعهم بالهجاء، كما يقطّع الأديم»(٢).

ثـم لمّا كانت هاتان المرحلتان كالمتلازمتين تواليًا: خلْق ثم فرْى، أو تهيئة ثـم تنفـيذ، ولما كان ما أنبأ الله تعالى، فى كتابه، بأنه – سبحانه – هو الذى خلقـه: من أرض بجبالها وأنهارها، وسماء بنجومها، وبشر، وحيوان، وغير ذلـك... أقـول: لمّـا كـان كل ذلك موجودًا بالفعل يعاينه الناس معاينةً، فقد تلازمت المرحلتان، أو قل توحّدتا، حين يسند «الخلْق» إليه عز وجلّ.

ومـن هـنا، علـى ما أرجّح، جاء الاستعمال الشائع لـ«الخلق» بمعنى «الإيجاد»، فهو استعمال تفرّع عن الاستعمال القرآنى، على النحو الذى ذكرته آنفًا. ثم غلب هذا المعنى (المتطور) على الاستعمال اللغوى، وهو الذى أفضى إلى التحرج من استعمال «الخَلْق» مسندًا إلى غيره – سبحانه- إذ لا «موجد» سواه، تقدّس وتنزّه.

وقـد سبق أن ذكرت أن بعض أئمتنا، فى تعريفهم لـ «الخَلْق»، قد حاولوا الجمـع بيـن دلالته على التهيئة أو التقدير، فى الاستعمال العربى القديم، من ناحـية، وما قد يكون شاع فى الاستعمال اللغوىّ من استعماله فى الدلالة على

---

(١) النهاية ٢/ ٧١.

(٢) اللسان (فرى) ٥/ ٣٤٠٨.

محـــض «الإيجـــاد»، مـــن ناحية أخرى، فقالوا: إن «الخلْق إيجاد على وفق التقدير»، على ما قرّر الزمخشرى (ت٥٣٨ هـــ) مثلا.

قلـــت: والأوفـــق مـــن ذلك، على الأقل فى تفسير الاستعمال القرآنى للفظ «الخَلْـــق» مســـندًا إليه سبحانه، هو أن نقول إن خَلْق الشيء هو تهيئته ليكون شـــيئًا ما، ثم إمضاء ذلك. وما أجود قول أبى حاتم الرازى (ت٣٢٢هـــ) فى ذلـــك (ولـــم أجده لغيره): «**وإنما سَمّى نفسه – عز وجل- خالقًا ، لأنه قدَّر الأشياء كلها، ثم أمضاها**»[1].

***

(١) الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية ٢/ ٥٣.

٢- (ن ش أ)

تـــدور اســـتعمالات الجــذر (ن ش أ) حـــول معنى «ارتفاع فى شيء وســـموّ»[١]، أو «الإحداث حالاً بعد حال»[٢]، أو «إحداث الشيء وتربيته»[٣]، أو « حـــدوث الشـــيء مبتدأ صغيرًا من جنسه آخذًا فى الاستغلاظ»[٤]. فملمح التنامى، أو التزايد (الرأسى)، هو ملمح أساسىّ فى استعمالات هذا الجذر.

ومن هذه الاستعمالات:

- «نشأ السحابُ»: ارتفع وبدا، وذلك فى أول ما يبدأ[٥]. «ومنه الحديث: (كان إذا رأى ناشـــئًا فـــى أفـــق الســـماء) أى: ســـحابًا لـــم يتكامل اجتماعه واصطحابه»[٦].
- «نَشَأ الصبىُ فهو ناشئ: إذا كَبِر وشبّ ولم يتكامل»[٧]. و«الناشئ: الحَدَث الـــذى جـــاوز حدّ الصِّغَر ... أبو الهيثم: الناشئ: الشاب حين نشأ، أى بلغ قامـــة الـــرجال... فالنشـــأ قد ارتفعن عن حد الصِّبا إلى الإدراك أو قرُبْن منه»[٨].
- «النَّشـــيئة» من النبات: ناهضه الذى لم يغلُظ بعد[٩]. و«النَّشيئة»- كذلك-:

---

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة (نشأ) ٥/ ٤٣٨- ٤٢٩.

(٢) أبو هلال العسكرى: الفروق اللغوية ص١٥٢.

(٣) الراغـــب الأصفهانى: المفردات ص ٨٠٧. ونقله عنه – بلا عزو – السمين الحلبى فى عمدة الحفّاظ ٤/٢٠٣. وينظر كذلك: المُناوى: التوقيف على مُهمّات التعاريف ص٦٩٩.

(٤) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (نشأ).

(٥) ينظر: (نشأ) فى: تهذيب اللغة ١١/ ٤٢٠، وأساس البلاغة ص ٨٢٦، واللسان ٦/ ٤٤١٨.

(٦) ابن الأثير: النهاية ٥/ ٥١.

(٧) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٨) اللسان (نشأ) ٦/ ٤٤١٨. وكذا: تاج العروس ١/ ٤٦٣ – ٤٦٤.

(٩) ينظر: اللسان (نشأ) ٦/ ٤٤١٩.

«التَّفِرة إذا غلُظت قليلا وارتفعت وهى رطبة، عن أبى حنيفة»[١].

وأما (ن ش أ) فى القرآن الكريم، فقد ترددت بعض استعمالاته فيه ثمانيًا وعشرين مرة[٢]. منها أربع وعشرون مرة، فسّرت فيها هذه الاستعمالات بما يدخلها فى مجال «الخلق»[٣]. وقد وقعت هذه الاستعمالات على مصاحبات بشرية، وأخرى غير بشرية.

فأما آيات «الإنشاء» المتعلقة بالبشر فتشمل:

- **انشاء البشر بوجه عام:**

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[٤]. قال الطبرى: «يقول – تعالى ذكره– قل يا محمد للذين يكذّبون بالبعث من المشركين : الله الذى **أنشأكم فخلقكم** ...»[٥].

- **إنشاء البشر من الأرض:**

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ [١]. قال ابن عطية (ت٥٤٦هـ): **«أنشأكم من الأرض أى أخترعكم وأوجدكم»**[٢]. وقال القرطبى (ت٦٧١ هـ): **«هو أنشأكم من الأرض أى ابتدأ خلْقكم من الأرض، وذلك أن آدم خُلق من الأرض... وهم منه»**[٣].

---

(١) اللسان (نشأ) ٦/ ٤٤١٩. و«التَّفِرة»: «ما ابتدأ من الطَّريفة ينبت ليِّنًا صغيرًا، وهو أحب المرعى إلى المال [= الإبل] إذا عَدِمت البَقْل» [اللسان (تفر) ٤٣٥/١. و«الطريفة»: نوع من الكلأ. اللسان (طرف) ٢٦٦١/٤].

(٢) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٧٠٠ – ٧٠١.

(٣) من استعمالات (ن ش أ) القرآنية التى لم تدخل فى مجال «الخلق»: «ناشئة» فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل: ٦/٧٣]، و«المنشآت» فى قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٤/٥٥]. وينظر: الفيروزابادى: بصائر ذوى التمييز ١٦٤/٢.

(٤) الملك٦٧/ ٢٣.

(٥) تفسير الطبرى ٢٣/ ١٣٤.

وكذا: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (٤).

- **إنشاء البشر من نفس واحدة (آدم عليه السلام):**

﴿ وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ (٥). قال ابن عطية: «الإنشاء : ابتداء فعل الشيء و (من نفس واحدة) يريد: آدم عليه السلام»(٦).

- **إنشاء أعضاء بشرية بعينها (لدى الإيجاد ولدى البعث):**

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧).

قال ابن عطية: «(أنشأ) بمعنى : اخترع»(٨).

وكذا: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ [٧٨] قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [٧٩]﴾ (٩).

قال القرطبى: «(قل يحييها الذى أنشأها أول مرة) أى من غير شيء، فهو قادر على إعادتها فى النشأة الثانية من شيء، وهو عَجْم الذَّنَب»(١٠).

---

(١) هود ١١/ ٦١.
(٢) المحرر الوجيز ٧/ ٣٢٩.
(٣) تفسير القرطبى ٩/ ٥٦.
(٤) النجم ٣٢/٥٣.
(٥) الأنعام ٦/ ٩٨.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٧ وكذا: تفسير القرطبى ٧/ ٤٦
(٧) المؤمنون ٢٣/ ٧٨.
(٨) المحرر الوجيز ٣٩٠/١٠.
(٩) يس ٣٦/ ٧٨، ٧٩.
(١٠) تفسير القرطبى ١٥/ ٥٨.

- **إنشاء قرون (= أجيال / أمم)[١] أو أقوام من البشر:**

(١) ﴿ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾ [٢].

قال ابن عطية (ت٥٤٦هـ) : «(وأنشأنا) : **اخترعنا وأوجدنا**»[٣]. وقال أبو السعود (ت٩٥١هـ): «(وأنشأنا من بعدهم) أى **أحدثنا** من بعد إهلاك كل قرن (قرنا آخرين) – بدلاً من الهالكين» [٤].

– وكذا:

(٢) قوله تعالى – بعد ذكر قصة سيدنا نوح وقومه: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾ [٥].

قال أبو السعود: «(ثم أنشأنا من بعدهم) – أى من بعد إهلاكهم [أى: إهلاك قوم نوح] (قرنا آخرين) هم عاد»[٦].

(٣) وقوله تعالى– بعد ذكره لإفناء قوم نوح–: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾.

---

(١) جاء فى اللسان (ق ر ن) ٥/ ٣٦٠٩:«القرن: الأمة تأتى بعد أمة...[أو]: أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنه المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم».

(٢) الأنعام ٦/٦. والآية بتمامها: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾.

(٣) المحرر الوجيز ١٣١/٥. وكذا: تفسير القرطبى ٣٩٣/٦.

(٤) تفسير أبى السعود ٣/ ١١١.

(٥) المؤمنون ٢٣/ ٣١.

(٦) تفسير أبو السعود ٦/ ١٣٢. وهؤلاء الهالكون بعد قوم نوح هم الواردون فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ [المؤمنون:٢٣ /٣١]. وفى تعيينهم خلاف:= فقيل: هم قوم عاد، وقيل: هم قوم ثمود. (ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز ١٠/ ٣٢٥، وتفسير القرطبى ١٢/ ١٢١، وتفسير البيضاوى ٣/ ٤٠٢).

قال ابن عطية: «...ثم أخبر تعالى عن أنه أنشأ بعد هؤلاء أممًا كثيرة، كل أمة بأجل وفي كتاب لا تتعدّاه: في وجودها وعند موتها»(١). وعيّن البيضاوى (ت ٦٨٥هـ) هذه القرون بأنهم «قوم صالح ولوط وشعيب»(٢).

(٤) وقوله – عز وجلّ: ﴿ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ (٣).

قال أبو السعود: «أي: ولكنا **خلقنا** بين زمانك [أى زمان محمد صلى الله عليه وسلم] وزمان موسى قرونًا كثيرة»(٤).

(٥) وقوله – سبحانه – ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ ﴾ (٥).

قال ابن عطية: «...ثم مثّل لهم على جهة التوعد بمن سلف من الأمم المعذبة، و(كم) للتكثير ... و (قصمنا) معناه: أهلكنا... وقوله (وأنشأنا بعدها) معناه: خلقنا وأثبتنا أمة أخرى غير المهلكة»(٦). وقال القرطبى: «(وأنشانا) أى: أوجدنا وأحدثنا بعد إهلاكهم»(٧).

- **إنشاء البشر للحساب (بعثهم) مقابل الإنشاء الأول. ويشمل ذلك:**

قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٨).

---

(١) المحرر الوجيز ١٠/ ٣٥٨.

(٢) تفسير البيضاوى ٣/ ٤٠٤. وكذا: تفسير أبى السعود ١٣٥/٦.

(٣) القصص ٢٨ / ٤٥.

(٤) تفسير أبى السعود ١٦/٧.

(٥) الأنبياء ٢١ /١١.

(٦) المحرر الوجيز ١٠/ ١٢٩.

(٧) تفسير القرطبى ١١/ ٢٧٤.

(٨) العنكبوت ٢٠/١٩.

قــال الزمخشــرى (ت٥٣٨هــــ): «دلّ بقوله (النشأة الآخرة) على أنهما نشأتان، وأن كل واحدة منهما إنشاء، أى: ابتداء واختراع، وإخراج من العدم إلــى الوجود، لا تفاوت بينهما، إلا أن الآخرة إنشاء بعد إنشاء مثله، والأولى ليست كذلك»(١).

وكذا: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى ﴾ (٢).

قــال الطبرى(ت٣١٠هــ) : «.. وذلك إعادتهم أحياءً خلْقًا جديدًا كما كانوا قبل مماتهم»(٣).

ويلحــق بذلك قوله تعالى – فى شأن العجائز اللواتى يدخلن الجنة: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء [٣٥] فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً [٣٦] عُرُباً أَتْرَاباً [٣٧]﴾ (٤).

قــال الزمخشرى: «أى: ابتدأنا خَلْقهنّ ابتداءً جديدًا من غير ولادة. فإما أن يراد اللاتى ابتدئ إنشاؤهن، أو اللاتى أعيد إنشاؤهم»(٥).

وفى النشأة الأولى وحدها، يقول تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ [٦٠] عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَــا لا تَعْلَمُــونَ[٦١] وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ [٦٢]﴾ (٦).

قــال القرطبى (ت٦٧١هــ): «(وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أى: إن أردنــا أن نبدّل أمثالكم لم يسبقنا أحد، أى لم يغلبنا...(وننشئكم فيما لا تعلمــون) من الصور والهيئات.. (ولقد علمتم النشأة الأولى) أى: إذ خُلقتم من

---

(١) الكشاف ٤٣٤/٣. وكذلك: ابن عطية: المحرر الوجيز ٣٧٤/١١، وتفسير القرطبى ١٣ / ٣٣٧، وتفسير البيضاوى ٨/٤.

(٢) النجم ٤٧/٥٣.

(٣) تفسير الطبرى ٢٢/ ٨٢. وكذا: تفسير أبى السعود ٨/ ١٦٤.

(٤) الواقعة ٥٦/ ٣٥، ٣٦، ٣٧.

(٥) الكشاف ٤/ ٤٥٠. وكذلك: تفسير أبى السعود ٨/ ١٩٣.

(٦) الواقعة ٥٦/ ٦٠، ٦١، ٦٢.

نطفــة ثــم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئا، عن مجاهد وغيره. قتادة والضــحاك: يعــنى **خلْـق** آدم عليه السلام»[١]. وقد عبّر الطبرى عن النشأة الأولــى بـــــ«**الإحداثــة** الأولــى التى أحدثنا كموها ولم تكونوا من قبل ذلك شيئا»[٢].

- **وأما آيات «الإنشاء» المتعلقة بغير البشر**، فتشمل إنشاء جنات النخيل والأعناب وضروب الشجر والزرع، وكذا إنشاء الأنعام:

- ﴿فَأَنشَــأْنَا لَكُــم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ[١٩] وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ [٢٠]﴾ [٣].

قال ابن عطية: (فأنشأنا) معناه: **أوجدنا وخلقنا**»[٤].

- ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ [٧١] أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَــا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ [٧٢]﴾ [٥].

- ﴿وَهُــوَ الَّــذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْــتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَــرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ [١٤١] وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ [٦].

---

(١) تفسير القرطبى ١٧/ ٢١٦ – ٢١٧.

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ٣٤٧.

(٣) المؤمــنون ٢٣ /١٩، ٢٠. وضــمير الغائــب فى (فأنشأنا لكم به) يرجع إلى «الماء» الوارد فى الآية السابقة لهذه الآية.

(٤) المحرر الوجيز ١٠/ ٣٤٢. وكذا: تفسير القرطبى ١٢/ ١١٣.

(٥) الواقعة ٥٦/ ٧١، ٧٢.

(٦) الأنعام ٦/١٤١، ١٤٢.

قـــال ابـــن عطية: «و(أنشأ) معناه : **خلق واخترع**»(١). وقال الزمخشريّ: «(حمولة وفرشا) عطف على (جنات) أي: وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال ومـــا يفرش للذبح، أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش. وقيل: الحمولة: الكبار التى للحمل، والفرش: الصغار كالفُصلان»(٢).

- **وعلى ما سبق يتضح لنا:**

- أن استعمالات (ن ش أ) الداخلة فى مجال الخلق، فى الاستعمال القرآنى، قد جاءت جميعها مسندةً إلى الله تعالى وحـــده. وأمــــا قوله - عز وجل ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ [٧١] أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ ﴾ بإســـناد الإنشاء تركيبيا إلى المخاطبين من الكفَّار، فهو فى سياق الاستفهام الدال على النفى، أى: أنتم لم تنشئوا الشجر الذى يتخذ منه الأزْنُد، وتحصل منها النار، بل نحن - أى المولى عز وجل - الذين أنشأناه.

- أن المصـــاحبات الـــتى وقعـــت عليها استعمالات (ن ش أ) هذه قد شملت «البشـــر»: إيجـــادهم وبعثهم، كما شملت «الزرع والشجر»، على ما سبق تفصـــيل القـــول فـــيه. ومــــا يجمع كلاً من هذه المصاحبات هو أنها من الـــنوامي. وقـــد ســـبق للراغب الأصفهانى أن لاحظ طرفًا من ذلك فقال: «والإنشاء: إيجاد الشيء وتربيته، وأكثر ما يقال ذلك فى الحيوان»(٣).

- تعاورتْ على بيان معنى استعمالات (ن ش أ) الداخلة فى مجال الخلْق، فى كتـــب التفسير، ألفاظٌ بعينها، مثل: الخلق، والإيجاد، والإحداث، والابتداء،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٩. وكذا: تفسير القرطبى ٧/ ٩٨ و«والجنات المعروشات» هى جنات الكروم المرفوعات على ما يحملها، و«غير المعروشات» هى الملقيات على وجه الأرض. (ينظر: تفسير البيضاوى ٢/ ٢١٤).

(٢) الكشاف ٢/ ٧٠.

(٣) المفـــردات ص٨٠٧. ونقلـــه عـــن الفيروزابادى فى: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٥/ ٥٢.

والاختراع. وقد كان الشأن كذلك فى عدد من مصنَّفات «غريب القرآن» ومعاجم اللغة. قال ابن عزيز (ت٣٣٠هـ) – مثلاً – : «(أنشأكم): **ابتدأكم وخلقكم**»[١]. وقال الجوهرى (ت٣٩٢هـ): «أنشأه الله: **خلقه**»[٢].

والذى أراه، بعد، هو أن استعمالات (ن ش أ)، فى مجال الخلق على الأقل، لم توظَّف فى الاستعمال القرآنى، للدلالة على محض الإيجاد أو الإحداث أو نحوهما، بل للدلالة على معنى **«الإنماء»**. وهو المعنى الذى قد يقترن بمعنى «الإيجاد»، على أساس أن «إنماء» الشيء يتطلب وجود ذلك الشيء أولا، أو على أساس أن «الإنماء» يشمل ضمن مراحل تحققه مرحلة الوجود الأول (الميلاد) للشيء المُنْمَى.

وشأن الاستعمال القرآنى، فى ذلك، شأن الاستعمال العربى القديم، على نحو ما جاء من قولهم: «نشأ الغلام، وهو ناشئ: إذا نما وزاد شيئا فشيئا»[٣]، إلى غير ذلك من الاستعمالات التى عرضنا لها فى صدر هذا المبحث. وهى التى اعتُبرت فى تقرير أن المعنى المحورى لاستعمالات (ن ش أ) هو «الإحداث حالاً بعد حال»، أو «إحداث الشيء وتربيته» (= تنميته)، أو «حدوثه آخذًا فى الاستغلاظ»، على ما سبق تفصيل القول فيه.

قلتُ: ومما يصدِّق ما ذهبنا إليه، وقوع استعمالات (ن ش أ) القرآنية، فى مجال الخلق، على ما من شأنه النمو (كما لاحظنا آنفا):

---

(١) غريب القرآن ص٥٨.

(٢) الصحاح (نشأ) ١/ ٧٧ وكذلك: اللسان ٦/ ٤٤١٨، وتاج العروس ١/ ٤٦٦.

(٣) أبو هلال العسكرى : الفروق اللغوية ص ١٥٢.

• **البشر**

للتعبير عن إنمائهم من نفس واحدة، أو من الطين، أو إنماء أعضائهم وعظامهم، أو للتعبير عن التمكين لأجيال منهم إثر إهلاك آخرين (وجود ثم تنامٍ وتمكين)، أو حتى للتعبير عن بعثهم (إعادة إنمائهم).

• **الأنعام والزرع والشجر**

ومن شأن كلٍ أن يتنامى ويستغلظ، على ما يشهد به الواقع. وقد مضى عرض تفصيلى تحليلى للاستعمالات القرآنية الخاصة بكل ذلك.

وأمــا ما ورد من استعمال العرب (ن ش أ)، أحيانا، مع غير النوامى كقولهم: «أنشأ دارًا: بدأ بناءها»[1]، فهذا محمول على النوامى، من حيث إن من شأن هذا البناء - مثلا - أن يحصل شيئا فشيئا، حتى يكتمل.



---

(١) ابن سيده: المحكم (نشأ) ٨/ ٦٣.

٣- (ف ط ر)

تدور استعمالات الجذر (ف ط ر) حول معنى «فتح شيء وإبرازه»[١]، أو «الشق طولاً»[٢]، أو «نشوء (وجود مستحدث) بنحو الشق البطيء أو الضعيف»[٣]. فملمح «الشق» ملمح أساسيّ فى استعمالات هذا الجذر. وهو «شق» قد يصحبه ظهور، أو إظهار، لشيء من بين أثناء هذا الشق. يقول أبو هلال العسكرى (ت ٤٠٠هـ تقريبا): «الفَطْر: إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود، كأنه شُقّ عنه؛ فظهر. وأصل الباب الشقّ، ومع الشقّ الظهور»[٤] .

ومن هذه الاستعمالات:

- «تفطّرت الأرض بالنبات» : تصدّعت[٥]. أى: تشقّقت بظهوره من أثنائها. وذلك كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً [٢٦] فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً [٢٧]﴾[٦]، وكما قال أيضا: ﴿ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾[٧] أى: ذات النبات الذى يصدع الأرض[٨].

---

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة (فطر) ٤/ ٥١٠.

(٢) الراغب: المفردات ص ٦٤٠. وعنه (بلا عزو) السمين الحلبى: عمدة الحفاظ ٣/ ٢٨٤ . وينظر كذلك : تاج العروس (فطر) ١٣/ ٣٢٥ (فيه: «الفطر .. الشق، وقيده بعضهم بأنه الشق الأول».

(٣) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (فطر).

(٤) الفروق اللغوية ص ١٢٥.

(٥) ينظر: (فطر) فى العين ٧/ ٤١٨، واللسان ٥/ ٣٤٣٣، وتاج العروس ١٣/ ٣٣١.

(٦) عبس ٨٠/ ٢٦، ٢٧.

(٧) الطارق ٨٦/ ١٢.

(٨) ينظر: ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن ص ٥٢٣، وتفسير الطبرى ٢٤/ ٣٠٤.

- «الفُطْــر»: جنس من الكَمْأة، أبيض، عِظام «من حيث إنها تفطُر الأرض، فــتخرج منها»[١]. و«الفُطْر» كذلك: العنب إذا بدت رؤوسه؛ لأن القضبان تنفطَّر[٢].
- «فَطَر نابُ البعير»: شقّ اللحم وطلع[٣].
- «فَطَر البئرَ» : ابتدأ حفرها[٤]. (شقّ يُخرج ماءً).
- ومن ملمح «الشق» وحده[٥] جاء قولهم:

«تفطرتْ قدماه» : تشقّقتا[٦].

و«انفطر الثوب»: انشق[٧].

- ومن ملمح «النشوء المستحدث» وحده[٨]، جاء قولهم:

«الفَطير»: اللبن ساعة يحلب[٩].

و«الفطـير»: العجيــن الــذى لــم يختمر. و«فَطَر العجين» إذا خُبز من ساعته[١٠].

---

(١) الراغب الأصفهانى: المفردات ص ٦٤٠.

(٢) ينظر : (فطر) فى اللسان ٥/ ١٤٣٣ ، وتاج العروس ١٣/ ٣٢٥.

(٣) ينظر: (فطر) فى: أساس البلاغة ص ٦٢٢، واللسان ٥/ ١٤٣٢، وتاج العروس ١٣/ ٣٢٦.

(٤) ينظر: (فطر) فى الصحاح ٢/ ٧٨١، وتاج العروس ١٣/ ٣٢٦.

(٥) ينظر: د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (فطر).

(٦) ينظر: ابن الأثير: النهاية ٣/ ٤٥٨. وفيه حديث «أنه قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى تفطرت قدماه».

(٧) ينظر: (فطر) فى العين ٧/ ٤١٨، وأساس البلاغة ص ٦٢٢ ، واللسان ٥/ ٣٤٣٣.

(٨) ينظر: د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (فطر).

(٩) ينظر: اللسان (فطر) ٥/ ٣٤٣٣.

(١٠) ينظر: العين (فطر) ٧/ ٤١٧.

و«سيف فُطَار» : عُمِل حديثًا، لم يعتُق[١].

وعلـــى ما سبق ونحوه جاء قولهم: «إياك والرأى الفطير»[٢]، أى: الذى لم يتأتَّ عن رويّة (لم يختمر).

- وأمـــا التعبـــير عـــن تناول الصائم للطعام والشراب لدى غروب الشمس بـــ«الإفطـــار»، فهـــو «إنشاء لحالة جديدة، أو على قول العامة : جرح صيامه»[٣] (شقٌّ فى فترة صوم ممتدة).

وأما الجذر (ف ط ر) فى القرآن الكريم، فقد ترددت بعض استعمالاته فيه عشـــرين مـــرة[٤]. منها أربع عشرة مرة وردت فيها هذه الاستعمالات بمعنى «الخلـــق»[٥]. وقد جاءت استعمالات «الخَلْق» هذه مع مصاحبين لغويين هما: البشر (ست مرات) ، و«السموات والأرض» (ثمانى مرات).

- **فأمـــا الاســـتعمالات الـــتى وقع فيها «الفَطْر» على البشر، فتشمل الألفاظ الآتية:**

- **«فَطَر» :**

فى قوله تعالى:﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[٦].

---

(١) ينظر: أساس البلاغة (فطر) ص ٦٢٢.

(٢) ينظر: الصحاح (فطر) ٢/ ٧٨٢.

(٣) ينظر: د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (فطر).

(٤) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٢٢- ٥٢٣. وينظر كذلك: د. أحمد الشرباصى: موسوعة له الأسماء الحسنى ٢/ ٣٢٦- ٣٢٨.

(٥) مـــن المرات التى لم ترد فيها (ف ط ر) بمعنى : خلق : قوله تعالى:﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَـــتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾ [مريم :١٩/ ٩٠]، و﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٦٧/ ٣]

(٦) الروم ٣٠/ ٣٠.

- «فطركم»:

فى قوله تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(١).

قال القرطبى (ت ٦٧١هـ) : «فطركم» : **خلقكم وأنشأكم**»(٢).

- «فطرنا» :

فى قوله تعالى – على لسان سحرة فرعون فى ردهم عليه بعد إيمانهم بموسى عليه السلام– ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾(٣).قال الراغب (ت٤٢٥هـ تقريبا) : «(والذى فطرنا)، أى **أبدعنا وأوجدنا**»(٤). وقال ابن عطية (ت٥٤٦هـ) : «(فطرنا) معناه: **خلقنا واخترعنا**»(٥).وقال القرطبى: «أى لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات، ولا على الذى فطرنا، أى **خلقنا**»(٦).

- «فطرنى»:

(١)فى قوله تعالى – على لسان سيدنا هود مخاطبًا قومه: ﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾(٧).

---

(١) الإسراء ١٧/ ٥١. وتمام سياق الآية : ﴿ وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً [٤٩] قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً [٥٠] أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً [٥١]﴾.

(٢) تفسير القرطبى ١٠/ ٢٧٤.

(٣) طه ٢٠/ ٧٢.

(٤) المفردات ص ٦٤٠.

(٥) المحرر الوجيز ١٠/ ٥٨.

(٦) تفسير القرطبى ١١/ ٢٢٥. وكذلك : أبو حيان: البحر المحيط ٦/ ٢٤٣.

(٧) هود ١١/ ٥١.

قال ابن عطية : «(وفطر) معناه : اخترع وأنشأ»(١).

(٢) وفي قوله عز وجل- : على لسان مؤمن أصحاب القرية في محاجتهم: ﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٢). قال ابن عطية: «(ومالى) تقرير لهم على جهة التوبيخ، فى هذا الأمر الذى يشهد العقل بصحته أن من فطر واخترع وأخرج من العدم إلى الوجود فهو الذى يستحق أن يعبد. ثم أخبرهم بأنهم محشورون إليه يوم القيامة»(٣).

(٣) وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء ممَّا تَعْبُدُونَ [٢٦] إلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ [٢٧] ﴾(٤).

- **وأما «الفطر» الواقع على «السموات والأرض»، فتشمل ألفاظه ما يلى:**

- **«فطر»:**

فى قوله تعالى: -على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام- ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٥).

قال الزمخشرى (ت٥٣٨هـ) : «أى للذى دلت هذه المحدثات عليه، وعلى أنه مبتدؤها ومخترعها»(٦).

- **«فطرهن»:**

فى قوله تعالى - على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام أيضا فى مواجهة أبيه وقومه من عبدة الأصنام- ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(٧).

---

(١) المحرر الوجيز ٧ / ٣١٩.

(٢) يس ٣٦/ ٢٢.

(٣) المحرر الوجيز ١٢/ ٢٨٧. وكذا: تفسير القرطبى ١٥/ ١٨.

(٤) الزخرف ٤٣/ ٢٦، ٢٧.

(٥) الأنعام ٦/ ٧٩.

(٦) الكشف ٢/ ٣٩.

(٧) الأنبياء ٢١/ ٥٦.

قال القرطبى (ت٦٧١هـ) : «(الذى فطرهن) أى: **خلقهن وأبدعهن**»[١].

- «**فاطر**»:

وقد تكررت فى ست آيات هى:

(١) قوله تعالى – على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم فى رده على قومه حين دعوه إلى عبادة الأصنام دين الآباء: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ ﴾[٢].

قال ابن عطية (ت٥٤٦هـ) : «وفطر معناه: **ابتدع وخلق وأنشأ**»[٣]. وقال البيضاوى (ت٦٨٥هـ) : «(فاطر السموات والأرض): **مبدعهما**»[٤]. ويشرح محى الدين زاده (ت٩٥١هـ) المقصود بلفظ «مبدعهما» فى كلام البيضاوى فيقول: «قوله: مبدعهما أى **خالقهما ابتداءً** لا على مثال سَبَق»[٥].

(٢) قوله تعالى – فى شأن أقوام نوح وعاد وثمود ومن بعدهم مع رسلهم– : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[٦].

قال ابن عطية: «**الفاطر : المخترع والمبتدئ**»[٧]. وقال القرطبى: «(فاطر السموات والأرض) : أى **خالقها ومُخترعها ومُنشئها ومُوجدها بعد العدم**، لينبه على قدرته؛ فلا تجوز العبادة إلا له»[٨].

---

(١) تفسير القرطبى ١١/ ٢٩٦. وكذلك: الزمخشرى: الكشاف ٣/ ١١٩.

(٢) الأنعام ٦ / ١٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٤٢.

(٤) تفسير البيضاوى ٢/ ١٥٦.

(٥) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

(٦) إبراهيم ١٤/ ١٠.

(٧) المحرر الوجيز ٨/ ٢١١.

(٨) تفسير القرطبى ٩/ ٣٤٦.

(٣) قولـه سبحانه – على لسان سيدنا يوسف عليه السلام –: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ ﴾[١].

قـال القرطـبيّ: «الفاطـر: **الخالق**، فهو سبحانه فاطر الموجودات ، أى: **خالقها ومُنشئها ومُخترعها** على الإطلاق: من غير شيء، ولا مثال سَبَق»[٢].

(٤) قوله – عزّ وجلّ – ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾ [٣].

قال الزمخشرى: «(فاطر السموات): **مبتدئها ومبتدعها**[٤]. وقال القرطبى: «الفاطر: الخالق... والفَطْر: الابتداء **والاختراع**»[٥].

(٥) قولـه تعـالى – مخاطبا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم –: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٦].

(٦) قولـه – تقدّس وتنزّه – ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً ﴾[٧].

- **وعلى ما سبق يتبين لنا:**

– أن كـل اسـتعمالات (ف ط ر) الداخلـة فى مجال «الخلْق» قد وردت مسندةً ، أو وصفًا ، لله تعالى وحده.

---

(١) يوسف ١٢/ ١٠١.

(٢) تفسير القرطبى ٩/ ٢٧٠.

(٣) فاطر ٣٥/ ١.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٧٧.

(٥) تفسير القرطبى ١٤/ ٣١٩.

(٦) الزمر ٣٩/ ٤٦.

(٧) الشورى ٤٢/١١.

- أن هــذه الاســتعمالات قد وقعت : إما على البشر (بلفظ «الناس» أو مكنــيًّا عنهم بالضمائر) ، أو على «السموات والأرض» معًا، على ما سبق تفصيل القول فيه.
- أن هذه الاستعمالات قد فُسِّرت بألفاظ تكررت بعينها: الخَلْق (مطلقا أو بقيد: «على غير مثال») ، والإنشاء ، والاختراع ، والابتداع.

ويتبقى ، بعد ، بيان وجه تحقق معنى «الشق الذى يصحبه إيجاد شيء ما أو استحداثه»، وهو المعنى الآصل الذى يدور حوله الاستعمال الغربى لهذا الجذر (كبروز ناب البعير شاقًا لحم اللثة، وطلوع النبات شاقًا سطح الأرض...).

فأما فيما يتعلق بفطر «السموات والأرض» فقد وقفتُ على توجيهين يتعلقان به:

الأول: قول البيضاوى (ت٦٨٥هـ) : «(الحمد لله فاطر السمــوات والأرض) : مبدعها ، من الفطر بمعنى : الشق، **كأنه شق العدم بإخراجهما منه**»[١]. وهذا – كما نرى – توجيه غامض؛ فهـــل لـــ«العدم» «وجود» حتى يخترقه شقٌّ (حسىّ)؟

الثانى: قول ابن عطية (ت٥٤٦هـ): «... وفاطر السموات والأرض، أى: مخترعهما وخالقهما، **شقَّ بعضهما مـــن بعض**»[٢]. وزاد السَّمين الحلبىّ (ت٧٥٦هـ): «وقولــــــه ﴿ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أى: **فَــتَقهما بعد أن كانتا ملتصقتين**، إشارة إلى قوله

---

(١) تفسير البيضاوى ٤/ ٩٨.
(٢) المحرر الوجيز ١٣/ ١٤٦.

﴿ كَانَــتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾»[١] وقد ورد فى تفسير «الرتق» و«الفتق» فى الآيــة الأخيرة: «الرَّتْق: الملتصق بعضه ببعض الذى لا صَدْع فيه ولا فتح... واختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى: ﴿ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ فقالت فرقة: كانت السماء ملتصقة بالأرض ففتقهما الله بالهواء»[٢].

قلت: ولقد أثبت العلم الحديث، فى منتصف القرن العشرين وما بعده، صحة هذا التوجيه المؤسس على المعنى اللغوى لـــ«الفطر»، وهو «الشق الذى يصحبه إيجادُ شيء ما». حيث تبلورت نظرية فى تفسير نشأة الكون تُعــرف بـــ «**نظرية الانفجار الكونىّ العظيم**»، ترى أن الكون كان جِرْمًا ملتــئمًا متناهيًا فى الصِّغر، ثم وقع انفجار كونى هائل، نتج عنه **انشقاق** هذا الجرم الضئيل الملتئم وتحوله إلى سحابة من الدخان، تكوّنت منها السماء والأرض. وتلقـــى هذه النظرية قبولاً كبيرًا، فى أيامنا هذه، لدى علماء الفلك وعلماء الفيزياء الفلكية والنظرية، فى مسألة تفسير نشأة الكون[٣].

هـــذا، وممـــا يتصـــل بهذا التوجيه السابق ما ورد عن سيدنا ابن عباس (ت٦٨هـــ) – رضى الله عنهما – أنه قال: «ما كنت أدرى ما فاطـــر الســـموات والأرض حتى احتكم إلىّ أعرابيان فى بئر، فقال

---

(١) عمـــدة الحفـــاظ ٣/ ٢٨٥. والآية الأولى من سورة الأنعام ٦/ ٧٩. والثانية من سورة الأنبـــياء ٢١/٣٠ وتمامهـــا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾.

(٢) ابـــن عطـــية: المحرر الوجيز ١٠/ ١٤١. وكذلك تفسير القرطبى ١١/ ٢٨٢- ٢٨٣. ومـــن الأقوال الأخرى أنه – سبحانه – فتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات، بعد أن كانت كل منهما رتْقًا.

(٣) يـــنظر فـــيما ســـبق: د. زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم (السماء) ص١٠٦ – ١٠٧.

أحدهمـــا: **أنا فطرتها»** أى ابتدأت حفرها[1]. فالاستحداث شقًّا، وهو ســبيل تكويــن البئر، معبرًّا عنه بلفظ «الفطر»، فى كلام الأعرابى، يمكــن أن ينسحب كذلك، فى فهم سيدنا ابن عباس رضى الله عنهما، علــى استحداث السموات والأرض معبَّرا عن ذلك باللفظ نفسه، وإن لــم نجــد تصــريحًا بدور «الشق» فى هذا الاستحداث على نحو ما اجــتهد ابــن عطــية وتابعــه السمينُ الحلبىّ، وأيَّد اجتهادهما العلمُ الحديث.

- **وأما «فَطْر» الإنسان**، فمما ورد فى توجيه معنى «الشق» فيه قول ابن العــربى (ت ٥٤٣هـــ) : **«والذى عندى أن (فطر) بمعنى: الشَّقّ فى كل معنى... وفَطَر الله الخلْق، معناه: أنهم كانوا مضغةً فشقَّهم بالهيئة والأخلاق»**[2].

قلت: وهذا الذى حزره ابن العربى يقارب ما يقرره علم الأجنّة، فى عصــرنا هــذا، من أن **تعرُّض البويضة المخصَّبة (الملقَّحة) لما يُسمَّى بـــ«الانقسام الأول» إلى خليتين، يمثل البداية الحقيقية لـــ(عملية) تكوين** الجنين[3]. **أفــيكون هذا «الانقسام الخلوىّ الأول»، إذن، هو مَجْلى معنى**

---

(١) ابــن الأثير: النهاية ٣/ ٤٥٧. ولهذا الحديث تردد وافر فى معاجم اللغة وكتب التفسير. ينظر مثلا: (فطر) فى جمهرة ابن دريد ٢/ ٧٥٥ (فيه أن الأعرابيين تقدما إلى حاكم لا إلى سيدنا ابن عــباس!)، وتهذيب الأزهرى ١٣/ ٣٢٦، وصحاح الجوهرى ٥/ ٣٤٣٣، وتاج العروس ١٣/ ٣٢٦. ومــن كتــب التفســير: كشاف الزمخشرى ٢/٩، ومحرَّر ابن عطية ٥/ ١٤٢، وتفسير البيضــاوى٢/ ١٥٦. وكذلك: للبيهقى: الأسماء والصفات ٢٧ (فيه: استحدثتُ حفرها)، والأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٤٧.

(٢) القرطبى: السنى فى شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٤٧.

(٣) ينظر: د. محمد عز الدين توفيق: دليل الأنفس (بين القرآن الكريم والعلم الحديث) ص ١٠٤-١٠٥.

«الشق»، فى تعبير القرآن الكريم عن إيجاد الإنسان بــ«فَطْره»؟

فــإن لم يكن الأمر كذلك، أو نحو ذلك، ترجّح أن يكون «الفَطْر»، فى استعمال القرآن الكريم له واقعًا على الإنسان، دالاً على محض «الإيجاد المستحدث»، دون لحْظ لملمح «الشق». وذلك على نحو ما جاء من قولهم : «الفَطِير» للبن ساعة يُحلب، وسيف «فُطَار»: إذا عُمل حديثًا ولم يعتَق، و«فَطَــر العجين»: إذا خبزه من ساعته (لم يُخمّره)، على ما مضى بيانه فى صدر هذا المبحث.

* * *

٤- (ب د أ)

تــدور اســتعمالات الجــذر (ب د أ) حول معنى «افتتاح الشيء»[١]، أو «تقديــم الشيء على غيره ضربًا من التقديم»[٢]، أو «ظهور الشيء أو تكوّنه لأول مرة»[٣].

فملمح «الأوليّة» ملمح أساسيّ في استعمالات هذا الجذر، ومنها : قولهم:

- «بدأتُ الشيء»: فعلته ابتداءً[٤] (وكذا: أبْدأته).
- و«بدأ بالشيء» وابتدأ به: قدّمه[٥] (جعله الأول فيما هو بصدده).
- و«افْعَلْه بدءًا» أي: أوّلَ شيءٍ[٦].
- و«أهدى له بَدْأةَ الجَزور»، أي: خير الأنْصباء[٧](أوليّةُ مكانةٍ).
- و«البَدْء»: السيِّد الأول في السيادة[٨] (أولية مكانة كذلك)[٩].
- و«بئر بَدِئ»: جديدة الحفر ليست بعاديّــة[١٠]. أي لـــم تكن محفورة من

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة (بدأ) ١/ ٢١٣.

(٢) الراغب الأصفهاني: المفردات ص١١٣. وعنه بلا عزو: السمين الحلبي: عمدة الحفاظ ١/١٨٦.

(٣) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي لمعاني ألفاظ القرآن الكريم (بدأ).

(٤) ينظر: الصحاح (بدأ) ١/ ٣٥.

(٥) ينظر: الفيومي: المصباح المنير (بدأ) ص ٤٠.

(٦) ينظر: تاج العروس (بدأ) ١/ ١٣٩.

(٧) ينظر: (بدأ) في اللسان ١/ ٢٢٥، وتاج العروس ١/ ٢٤٠.

(٨) ينظر: اللسان (بدأ) ١/ ٢٢٤.

(٩) وفي مقاييس ابن فارس (١/ ٢١٣):«لأنه يُبدَأ بذكره».

(١٠) الزمخشري: أساس البلاغة (بدأ) ص٢٩.

قبل، وانطمرت، فأعيد حفرها، بل حُفرت لأول مرة[١].

- و«بُدِئ الرجلُ»: خرج به بَثْر شِبْه الجُدَرِىّ[٢] (شيء مستحدث على البدن، كأنه يُوجد لأول مرة عليه).
- و«أبـــدأ الرجلُ»: جاء بما هو بَدِئ، أى: عجيب غريب[٣]. وهذا من الجِدَّة التى فى إنشاء الشيء، أو فعله لأول مرة[٤].

وأمـــا (ب د أ) فى القرآن الكريم، فقد ترددت بعض استعمالاته فيه خمس عشـــرة مرة، منها اثنتا عشرة مرة[٥] فسِّرت فيها هذه الاستعمالات بما يدخلها فى مجال «الخلق» أو «الإيجاد».

وقد وقعتْ هذه الاستعمالات على مصاحب لغوىّ واحد، هو «الخَلْق»[٦]: إما بلفظه، وإما مكنيًّا عنه بالضمير ، وإما مقدرًا:

- فمن ورود «البدء» مع لفظ «الخلق» ظاهرًا:
- قولـــه تعـــالى: ﴿ **إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾[٧].

---

(١) ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة (بدأ) ٢٠٦/١٤، وابن الأثير: النهاية ١٠٤/١.

(٢) ينظر: (بدأ) فى اللسان ٢٢٥/١، وتاج العروس ١٤٢/١.

(٣) ينظر: تاج العروس (بدأ) ١/ ١٤١

(٤) ينظر: د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (بدأ).

(٥) يـــنظر: محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص١١٥. وينظر كذلك: د. أحمد الشرباصى: موسوعة له الأسماء الحسنى ١/ ٣١٢- ٣١٤، ٢/ ٨٠- ٨٤.

(٦) تشـــمل المرات التى لم ترد فيها (ب د أ) بمعنى الخلق، قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ [يوسف :١٢/ ٧٦]،و﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة :٩/ ١٣] و﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة :٣٢/ ٧].

(٧) يونس ١٠/ ٤.

قـــال الطـــبرى (ت ٣١٠هـــ) : «(إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده) يقول- تعالى ذكره : إن ربكم يبدأ إنشاء الخلْق وإحداثه وإيجاده (ثم يعيده) يقول: ثم يعيده، فيوجده حيًّا كهيئته يوم ابتدأه ، بعد فنائه وبلائه»(١).

- وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ (٢).

قـــال ابـــن عطـــية (ت٥٤٦هـــ): «هذا توقيف أيضًا على قصور الأصنام وعجْـــزها، وتنبـــيه علـــى قدرة الله عز وجل. وبَدْء الخلْق يريد به إنشاء الإنسان فى أول مرة، وإعادته هى البعث من القبور»(٣).

- وقوـــله تعـــالى: ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤)، و﴿وَهُوَ الَّـــذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (٥)، و﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٦).

قال ابن عطية: «(يبدأ الخلق) معناه: يُنشئه ويخرجه من العدم... و (يعيده) يبعثه من القبور وينشئه تارة أخرى»(٧).

---

(١) تفســير الطــبرى ١١٥/١٢. وكذلــك: ابن عطية: المحرر الوجيز ١٠٢/٧، وتفسير القرطبى ٣٠٩/٨.

(٢) يونس ١٠/ ٣٤.

(٣) المحــرر الوجيز ٧/ ١٤٦. وكذلك: تفسير الطبرى ١٧٧/١٢- ١٧٨ (فيه: «الله يبدأ الخلــق» فينشــئه من غير شيء، ويحدثه من غير أصل، ثم يفنيه إذا شاء...»، وتفسير القرطبى ٣٤١/٨.

(٤) الروم ١١/٣٠.

(٥) الروم ١١/٣٠.

(٦) العنكبوت ١٩/٢٩.

(٧) المحرر الوجيز ١١/ ٤٤٧. وكذا: تفسير الطبرى ٤٨٥/١٨، وتفسير القرطبى١٤/ ٢٠ – ٢١.

- وكذا: قوله سبحانه: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ (١)، وقوله: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ﴾(٢).

قـــال ابن عطية – فى تفسيره الآية الأولى: «كما اخترعنا الخلْق أولاً على غير مثال، كذلك نُنشئهم تارةً أخرى، فنبعثهم من القبور»(٣). كما فسَّر «بَدْء الخلق» فى الآية الثانية بـــ «إيجاده» و «إحداثه» ابتداءً(٤).

- وأمـــا «البدء» واقعًا على «الخلق» مكنيًّا عنهم بالضمير، فقد ورد فى قوله تعالى: ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٥).

قال الزمخشرى: «(كما بدأكم تعودون) : كما **أنشأكم ابتداءً** يعيدكم»(٦).

وقـــال ابـــن عطـــية: «أى: كمـــا **أوجدكـــم واخترعكم** كذلك يعيدكم بعد الموت»(٧).

---

(١) الأنبياء ٢١/ ١٠٤.

(٢) العنكبوت ٢٩/ ٢٠.

(٣) المحـــرر الوجيز ١٠/ ٢١٤. وقد علَّق الزمخشرى على مجيء لفظ «خلْق» منكرًا فى هـــذه الآيـــة بقولـــه: «فإن قلت: ما بال (خلق) منكرًا؟ قلت: هو كقولك: هو أول رجل جـــاءنى، تريد: أول الرجال، ولكنك وحّدته ونكّرته إرادة تفصيلهم رجلاً رجلاً، فكذلك معـــنى (أول خلـــق) : أول الخلق، بمعنى : أول الخلائق» [الكشاف ٣/ ١٣٤- ١٣٥]. وللآيـــة تأويل آخر هو أن تكون خبرًا «عن أن كل شخص يبعث يوم القيامة على هيئته التى خرج بها إلى الدنيا» [المحرر الوجيز ١٠/ ٢١٤] (أى : حافيًا عاريًا أغْرل).

(٤) ينظر: تفسير الطبرى ١٨/ ٣٧٦ - ٣٧٧، وتفسير البيضاوى ٤/ ٨.

(٥) الأعراف ٧/ ٢٩.

(٦) الكشاف ٢/ ٩٦.

(٧) المحـــرر الوجيز ٥/ ٤٧٩. وكذلك: تفسير القرطبى ٧/ ١٨٨، وتفسير البيضاوى ٢/ ٢٣٦، وتفسير أبى السعود ٣/ ٢٢٣.

• وأما وقوع «الإبداء» على «الخَلْق» مقدرًا، فيشمل:

- قوله تعالى:﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ [١٢] إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ [١٣]﴾(١).

قال القرطبى (ت٦٧١هـ): «(إنه هو يبدئ ويعيد) يعنى: الخلْق، عن أكثر العلماء، يخلقهم ابتداءً، ثم يعيدهم عند البعث»(٢).

- وقوله – عز وجل-: ﴿قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (٣).

ذكر الزمخشرىّ أن مما فُسِّرت به هذه الآية: «وقيل: الباطل: إبليس –لعنه الله– أى: ما يُنشئ خلقًا ولا يعيده، المنشئ والباعث هو الله تعالى»(٤).

• **وعلى ما سبق يتضح لنا:**

- **لم ترد استعمالات (ب د أ) الدالة على «الخَلْق»، أو ما بمعناه، فى الاستعمال القرآنى، إلا مسندة لله تعالى وحده. وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ فإسناد «البدْء» فيها تركيبيًّا إلى الأوثان، فى الجزء الأول من الآية، قد جاء فى**

---

(١) سورة البروج ٨٥/ ١٢، ١٣.

(٢) تفسير القرطبى ١٩/ ٢٦٩. وكذلك: تفسير الطبرى ٢٤/ ٢٨٢ (فيه: «يُحدث خلقه ابتداءً، ثم يميتهم، ثم يعيدهم أحياء بعد مماتهم، كهيئتهم قبل مماتهم»)، والمحرر الوجيز ١٥/ ٣٩١، وتفسير البيضاوى ٤/ ٦٤٣. ويلاحظ أن فى الآية تفسيرًا آخر، ورد فى المصادر المذكورة هنا كذلك، وهو أن يكون المراد أنه – سبحانه– يبدئ البطش (وهو المذكور فى الآية السابقة) ويعيده، أى يبطش بالكفرة فى الدنيا، ويعيده عليهم فى الآخرة.

(٣) سبأ ٣٤/ ٤٩.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٧٤. وكذا: تفسير القرطبى ١٤/ ٣١٣، والسمين الحلبى: عمدة الحفاظ ١ / ١٨٦– ١٨٧، وتفسير أبى السعود ٧/ ١٣٩. والتفسير الآخر للآية هو أن يكون المراد بـ«الباطل»: «غير الحق، من الكذب والكفر ونحوه، استعار له الإبداء والإعادة، ونفاهما عنه، كأنه قال: وما يصنع الباطل شيئا» [المحرر الوجيز١٢/٢٠٤].

سياق الاستفهام الذى غرضه لنفى، أى نفى قدرة الأوثان على إبداء الخلْق وإعــادتهم. وكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ هو نَفْى لأن يكون لــ«إبليس» قدرة على الإبداء والإعادة، على ما ذهبت بعض التفاسير فى تعيين المراد من «الباطل».

- وقعــتْ هــذه الاستعمالات - كما رأينا - على مصاحب لغوىٍّ واحد، هو «الخلْــق» - بمعــنى : المخلوقين: إما بلفظه، أو مكنيًّا عنه بالضمير، أو مقدَّرًا.

- اقترنــت استعمالات (ب د أ) الداخلة فى مجال «الخلق»، فى كل سياقاتها القرآنية، بما يدل على «الإيجاد الثانى» للخلق، لدى البعث والحساب. وقد اســتأثر مضارع الفعل «أعاد» بالدلالة على هذا «الإيجاد الثانى» فى كل تلــك الســياقات[(١)]، مــا عــدا ســياقًا واحدًا عُبِّر فيه عن ذلك المعنى بــ «الإنشاء» ، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾ [(٢)].

- فسِّرت هذه الاستعمالات:

(أ) تــارة بمحض الإيجاد، أو الاختراع، أو الإنشاء، أو الخلْق. كما فى تفسير ابــن عطية (بدأكم) بــ «أوجدكم واخترعكم»[(٣)]، وتفسير البيضاوى لــ(الله

---

(١) وينظر: د. أحمد الشرباصى: موسوعة له الأسماء الحسنى ١/ ٣١٢، ود.أحمد مختار عمر: أسماء الله الحسنى ص١١٥. ومن أمثلة اقتران «البدء» بــ«الإعادة» قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم: ٣٠ / ١١] وغيرها مما عرضنا له على نحو مفصَّل.

(٢) العنكبوت ٢٩/ ٢٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٩.

يبدأ الخلق) بـ «ينشئهم»[١].

(ب) وتارةً أخرى بإضافة قيد دلالى لهذا «الإيجاد»، هو كونه إيجادًا لـ «أول مرة». وقد عبّر الطبرىّ عن ذلك بـ«الإحداث ابتداءً»[٢]، والزمخشرىّ بـ«الإنشاء ابتداءً»[٣]، وابن عطية بـ«إنشاء الإنسان أول مرة»[٤]، والقرطبى بـ«الخلْق ابتداءً»[٥].

قلت: وتفسير «بَدْء الخَلْق»، فى الاستعمال القرآنى، بـ «الإيجاد ابتداء، أو لأول مرة»، هو التفسير الدقيق: فهو يتسق مع الاستعمال العربى، فى توظيفه لهذا الجذر فى الدلالة على «الظهور أو التكوين لأول مرة»، كما فصّلنا فى مفتتح هذا المبحث (افْعَلْه بدًا : أول شيء، بَدَأ الشيء: فعله ابتداءً، بئر بدئ: جديدة حُفرت لأول مرة...). كما أن مجيء «بدْء الخلق» مقترنًا بإعادتهم (= إيجادهم ثانية للحساب) ، فى كل السياقات القرآنية التى ورد فيها هذا «البَدْء»، على ما لاحظنا آنفا ، يمثّل قرينة مقالية، تدعم أصالة ملمح «الأوليّة» فيه.

***

(١) تفسير البيضاوى ٤/٢٢. وينظر كذلك: ابن سيده: المحكم (بدأ) ١٠/ ٩٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبرى ١٢/ ١٧٧، ٢٤/ ٢٨٢.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٩٦.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ٧/١٤٦.

(٥) ينظر: تفسير القرطبى ١٩/ ٢٩٦.

٥- (ب ر أ)

تدور الاستعمالات اللغوية للجذر (ب ر أ) حول معنى «**التفصّى مما يُكرَه مجاورتــه**»على حدّ قول الراغب الأصفهانى[١] (ت ٤٢٥هـ تقريبًا). وعبارة السَّمين الحلبى (ت٧٥٦هـ): «الانفصال من الشيء المكروه مجاورته والتفصّى منه»[٢]، مع ما يُفضى إليه ذلك من «السلامة»[٣] من هذا المكروه.

ومن هذه الاستعمالات:

- «برِئ من مرضه»: عُوفى منه وسَلِمَ. وكذا بَرِئَ من العيب: سلم منه[٤].
- «بَرِئ من دينه»: سقط عنه طلبُه[٥].
- «بارأ امرأتَه، أو شريكَه، أو كريَّه»: صالحهم على الفراق[٦] (=مخالصة).
- «اســتبرأ عضوَه من البول»: استفرغ بقيةَ بول فيه، بالنتْر والتحريك حتى يعلم أنه لم يبق منه شيء[٧] (استقصاءُ خلوصٍ).

---

(١) المفــردات ص١٢. وفــيه: «التقصى» بدلاً من «التفصّى»، وهو تصحيف. جاء فى اللســان (فصى) ٥/ ٣٤٢٥: «فَصَى اللحمُ عن العظم، وفصَّيته منه تفصية: إذا خلَّصته منه.. وتفصَّى من الشيء: تخلَّص».

(٢) عمــدة الحفــاظ ١/١٩٦ (فــيه: «التغضــى»، تصحيف كذلك). وينظر كذلك: تفسير البيضاوى (بحاشية زاده) ١/ ٣٠١. وأما ابن فارس، فقد جعل لهذا الجذر معنيين تدور حولهمــا استعمالاته: «الخلق»، و«التباعد من الشيء ومزايلته». وهذا الثانى قريب من كلام الراغب، وسيتبين دخول معنى «الخلق» تحته كذلك.

(٣) د. محمــد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (برأ). (وفيه أن المعنى المحورى لهذا الجذر هو: «سلامة الحى وخلوصه مما يكتنفه أو ينتقصه»).

(٤) ينظر: (برأ) فى مقاييس اللغة ١/ ٢٣٦، واللسان ١/ ٢٤٠.

(٥) ينظر: (برأ) فى المصباح المنير ص٤٧، واللسان ١/ ٢٤٠.

(٦) ينظر: (برأ) فى أساس البلاغة ص ٣٢، واللسان ١/ ٢٤٠، وتاج العروس ١/ ٢٤٨.

(٧) ينظر:(برأ) فى اللسان ١/٢٤١، والمصباح المنير ص٤٧، وتاج العروس١/ ١٤٨.

- «البُرْأة»: قُـتْرة الصـائد الـتى يكمن فيها[١]. وذلك لـ«انفراده» فيها، و«انفصاله» عما حوله، بالتخفى[٢]. أو لأنها تغطّية فـ«يسلم» مما حوله[٣].
- «البَراء» : أول ليلة من الشهر[٤]. وذلك «لتبرؤ القمر من الشهر»[٥] (= خلوص من الشهر السابق).

• وأمـا (ب ر أ) فى القرآن الكريم، فقد ترددت بعض استعمالاته فيه إحدى وثلاثيـن مـرة[٦]. يدخل منها فى مجال «الخلْق» خمسةُ ألفاظ، تكررت – إجمالاً – ست مرات[٧]. وتلكم هى: «**بارئكم**» (تكرر مرتين)، و«**البارئ**»، و«**نـبرأها**»، و«**الـبرية**» (تكـرر مرتين). وقد غلب عليها الوقوع على مصاحب لغوىّ واحد، هو النفس البشرية.

فأما لفظ «بارئكم» فقد ورد مرتين فى آية واحدة، هى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَـالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَـارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُـوَ

---

(١) اللسـان (برأ) ١/ ٢٤١. و«القُتْرة: البئر يحتفرها الصائد يكمُن فيها» [اللسان (قتر) ٥/ ٣٢٥].

(٢) ينظر : مقاييس اللغة (برأ) ١/ ٢٣٧.

(٣) ينظر: د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (برأ).

(٤) ينظر: اللسان (برأ) ١/ ٢٤٠.

(٥) مقاييس اللغة (برأ) ١/ ٢٣٦ – ٢٣٧.

(٦) يـنظر: محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس ص ١١٦ – ١١٧. وينظر كذلك: د. أحمد الشرباصى: موسوعة له الأسماء الحسنى ١/ ٩٤ – ٩٦.

(٧) مـن اسـتعمالات (ب ر أ) القرآنية التى لا تدخل فى مجال الخلق: «برئ» فى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام ٦/ ٧٨]. و«تبرأ» فى قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ﴾ [البقرة ٢/ ١٦٦]

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[١].

قـال أبو عبيدة (ت٢١٠هـ): «(بارئكم) : **خـالقكم**، من برأت»[٢]. وبمثل ذلك قال الطبرى[٣](ت ٣١٠هـ)، والزجّاج[٤] (ت ٣١١هـ)، وغيرهما[٥].

- وأما لفظ «**البارئ**»، فقد ورد فى قوله تعالى:

﴿ هُـوَ اللَّـهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٦].

وقـد فسِّـر اللفـظ تارة بـ«الخالق»، وأخرى بـ«الموجد»، وثالثة بـ«المنشئ المخترع»:

قال ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): «ومعنى البارئ: **الخـالق**. يقال: بَرَأ الله الخلق يبرؤهم»[٧]. وقال الطبرى (ت ٣١٠هـ): «يقول تعالى ذكره: هو المعـبود **الخـالق** الـذى لا معبود تصلُح العبادة غيره، ولا خالق سواه، الـبارئ الذى بَرَأ الخَلْـق، **فأوجدهـم** بقـدرته»[٨]. وقال القرطبى (ت ٦٧١هـ): «البارئ: **المنشئ المخترع**»[٩].

- وأما لفظ «**نبرأها**» فقد ورد فى قوله تعالى:

---

(١) البقرة ٢/ ٥٤.

(٢) مجاز القرآن ١/ ٤١.

(٣) ينظر: تفسير الطبرى ١/ ٨٦٥.

(٤) ينظر: معانى القرآن وإعرابه ١/ ١٣٥.

(٥) ينظر مثلا: ابن عزيز: غريب القرآن ص ١١٧،وتفسير القرطبى ١/ ٤٠٢.

(٦) الحشر ٥٩/٢٤.

(٧) تفسير غريب القرآن ص١٥.

(٨) تفسير الطبرى ٢٢/ ٥٥٥. وكذلك: ابن عطية: المحرر الوجيز ١٤/ ٣٩٣.

(٩) تفسير القرطبى: ١٨/ ٤٨.

﴿ مَـا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[١].

وقــد فسَّر اللفظ بـ«نخلقها»، مع ترجيح عود الضمير على «الأنفس»- بدلا من «الأرض» أو «المصيبة»:

قــال الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) : «أى: ما أصاب الآدمىّ فى الأرض من مصيبة، مثل: ذهاب المال، والشدة، والجوع، والخوف. (ولا فى أنفسكم): الموت فى الولد، وغير الولد، والأمراض. (إلا فى كتاب) يعنى: فى العلم الأول، من قبل أن نبرأ تلك الأنفس، أى: **نخلقها**»[٢]. وقال الطبرى (ت ٣١٠هـ): «(من قبل أن نبرأها) يقول: من قبل أن نبرأ الأنفس، يعنى: مــن قبل أن **نخلقها**»[٣]. وبمثل ذلك قال أبو عبيدة[٤] (ت٢١٠هـ)، وابن اليزيدى[٥](ت٢٣٧هـ)، وغيرهما[٦].

- وأمــا لفــظ «الــبرية»، فقــد تكرر مرتين فى سورة البيِّنة فى آيتين متتابعتين هما:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَـئِكَ هُـمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ[٦] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ[٧]﴾.

---

(١) الحديد ٥٧/ ٢٢.

(٢) معانى القرآن ٣/ ١٣٥ – ١٣٦.

(٣) تفسير الطبرى ٢٢/ ٤١٨.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٥٤.

(٥) غريب القرآن وتفسيره ص ١٧٧.

(٦) يــنظر: ابن عطية: المحرر الوجيز ١٤/ ٣٢٠، وتفسير القرطبى ١٧/ ٢٥٧ (فى كلٍّ ذكْر للاحتمالات الثلاثة لعود الضمير فى «نبرأها»).

وقد فسِّر اللفظ بـ«الخلْق» أو «الخليقة» (فعيلة بمعنى مفعول)[١]، على أن أصله: «البَرِيئة». قال ابن عطية (ت٥٤٦هـ): «(البريّة): جميع الخَلْق؛ لأن الله تعالى برأهم، أى أوجدهم بعد العدم. وقرأ نافع، وابن عامر ، والأعرج: البريئة- بالهمزة – من (برأ)، وقرأ الباقون والجمهور: (البريّة) بشد الياء بغير همز، على التسهيل. والقياس الهمز، إلا أن هذا مما تُرك همزه كالنبيّ والذريّة»[٢]. وقال محي الدين شيخ زاده (ت ٩٥١هـ) : «وقرأ نافع (البريئة) بالهمز على الأصل؛ لأنها فعيلة من: برأ الله الخَلْق، أى: ابتدأه واخترعه»[٣].

وعلى ما سبق يتبين لنا:

- أن استعمالات (ب ر أ) الداخلة فى مجال «الخَلْق»، لم تأت، فى الاستعمال القرآنى، إلا مسندةً – أو وصفًا – لله تعالى.
- وقعت هذه الاستعمالات على مصاحب لغوى واحد، هو النَّفْس البشرية. وقد جاء ذلك صريحا فى لفظ «بارئكم» الذى خاطب به سيدنا موسى – عليه السلام– قومه من بنى إسرائيل. وكذا لفظ «نبرأها» العائد – ترجيحا– على «أنفسكم» فى الآية نفسها. كما أن هناك من أئمتنا من رجّح أن يكون المقصود بلفظ «البرية»، فى سياقه القرآنى على الأقل، هو «البشر» خاصة، لا مطلق الخَلْق، ولهم فى ذلك حجج معتبرة[٤].

---

(١) ينظر: المصباح المنير (برأ) ص ٤٧.

(٢) المحرر الوجيز ١٥/ ٥٣٠. وقد أشار ابن عطية إلى قول بعض النحويين إن «البريّة» مأخوذ من «البَرَى»: التراب، ثم قال: «وهذا الاشتقاق يجعل الهمز [أى فى قراءة من قرأ به] خطأ وغلطًا، وهو اشتقاق غير مرضيّ». وينظر كذلك: تفسير الطبرى ٢٤/ ٥٥٥، وتفسير القرطبى ٢٠/ ١٤٥، والسمين الحلبى: عمدة الحفاظ ١/ ١٩٦- ١٩٧، واللسان (برى) ١/ ٢٧٢ – ٢٧٣.

(٣) تفسير البيضاوى ٤/ ٦٨٤.

(٤) ينظر – مثلا – : الألوسى: روح المعانى ٣٠/ ٢٠٥- ٢٠٦ .

قلـــت: ولعـــل مما يدعم غلبة اختصاص «البَرْء» (الخلْق)، فى الاستعمال العربى، بالبشر خاصة، شواهد نصية أخرى، من مثل:

حديـــث ســـيدنا علىّ بن أبى طالب الذى أورده ابن الأثير (ت ٦٠٦هـــ): «والذى فَلَق الحبّةَ، وبَرَأ النَّسمة»[١]، والنَّسمة: نَفْس الإنسان أو روحه[٢].

وقول ابن هَرْمة[٣](ت١٧٦هــ):

وكـــلُّ نَفْـسٍ علـــى ســـلامتها يميـــتها الله ثـــم يَـــبرؤها

- أنـــه قـــد غلب على أئمتنا تفسير «البَرْء»، فى استعمالاته القرآنية السابقة، بمحض الخَلْق (الإيجاد)، أو الاختراع ، أو الإنشاء.

وسؤالنا، بعد، هو عن وجه صلة ذلك التفسير باستعمال (ب ر أ) فى عموم تصـــاريفه، فى الكلام العربى، للدلالة على معنى «خلوص الشيء أو سلامته مما يغشاه (من المكاره)» (= تميُّزه أو انفصاله عنه)، كالخلوص من مرض، أو عيـــب، أو دَيْن، أو شركة، أو غير ذلك مما فصَّلنا القول فيه فى صدر هذا المبحث.

إن لدينا، فى هذا الصدد، اجتهادات تدور حول بيان جهة هذا «الخلوص» فى معنى «البَرْء»، منها :

- **أن الله تعالى قد «خلق الخَلْق بريئًا من التفاوت: ﴿ مَّا تَـــرَى فِي خَلْـــقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ »، أى تنافرًا أو اضطرابًا، كما قرر الزمخشرى (ت ٥٣٨هــ) [٤] .**
- **أن يكـــون معـــنى «البَرْء»، فى مجالنا هذا، هو «قَلْب الأعيان»- كما قرر البـــيهقى[٥] (ت٤٥٨هـــــ)- بمعـــنى أنه سبحانه قد «أبدع» الماء والتراب**

---

(١) النهاية ٥/ ٤٩. وكذا : أبو حاتم الرازى: الزينة ٢/ ٥٦، اللسان (نسم) ٦/ ٤٤١٤.

(٢) ينظر: اللسان (نسم) ٥/ ٤٤١٤.

(٣) ديوانه ص ٥٦. وكذا: ابن الأنبارى: الزاهر فى معانى كلمات الناس ٢/ ١١٤.

(٤) الكشاف ١/ ١٤٣. والآية المذكورة من سورة الملك ٣/٦٧.

(٥) ينظر كتابه: الأسماء والصفات ص ٢٤.

ونحوهما، ثم أوجد الخلق منها، كما فى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾[1] «فيكون هذا من قولهم: برأ القوّاس القوسَ: إذا صنعها من موادها التى كانت لها، فجاءت منها، لا كهيئتها»[2].

قلت: وهذا ضرب من «**الاستخلاص**» يترتب عليه إيجاد شيء ذى تميز واستقلال عما استُخلص منه. وقريب من هذا توجيه البيضاوى (ت٦٨٥هـ) لمعنى الإيجاد فى هذا اللفظ، حيث يقول: «وأصل التركيب [يقصد: (ب ر أ)] لخلوص الشيء من غيره: إما على سبيل التفصّى، كقولهم: بَرِئَ المريض من مرضه، والمديون من دينه. أو **الإنشاء**، كقولهم بَرَأَ الله آدمَ من الطين»[3] (= استخلصه منه).

فالخلوص المفضى إلى التمايز، إذن، هو الملمح الدلالى المميز لمعنى الخلْق (الإيجاد)، فى لفظ «البَرْء»: إما بسلامة المخلوق من آفات الاضطراب والتنافر، وإما بحصوله متميزًا مستقلاً عن المادة - أو الهيئة- التى استُخلص منها.

***

(١) الروم٣٠/ ٢٠.

(٢) الأسماء والصفات ص ٢٤. ولم أجد هذا الاستعمال (برأ القواس القوس) فى اللسان (برأ) ١/ ٢٣٩- ٢٤١، ولا فى تاج العروس (برأ) ١/ ١٤٥- ١٤٩.

(٣) تفسير البيضاوى ١/ ٣٠١.

٦- (ذ ر أ)

تـدور اسـتعمالات الجـذر (ذ ر أ) حول معنى «**نَشْر أشياء دقيقة أو انتشـارها (مـن أثناء الشيء)**»(١) ويبدأ هذا الانتشار بسيطًا عادة، ثم يتنامى شيئا فشيئًا.

ومن هذه الاستعمالات:

- «الـذُرأة»: شـيْب يبدو فى فَوْدى الرأس قبل سائره(٢). ثم هو لا يلبث أن يتنامى، فربما شمل الشعر كلّه، بعد أن كان فى خصلات محدودة (ويلاحظ دقة جِرْم الشعر).
- «ذَرَأ الأرضَ»: بَذَرها(٣). حيث يُنثر الحَبّ أجرامًا دقيقة، شيئًا فشيئًا، حتى يشمل مساحة واسعة ينمو فيها كلّها.
- «أَذْرأه»: أسـاله. ويقال: أذرأتِ الناقةُ: إذا أنزلت اللبن من الضرع، فهى مُـذرِىء»(٤) (أى لأول مـرة، كما يفهم من السياق)(٥). فهو ينزل فى تلك الحال، قليلاً، ثم تتزايد بعدُ كميته.
- «بلغنى عن فلان ذَرْأ من قول»: إذا بلغك طَرَف منه ولم يتكامل(٦).

فهذا بَدْء انتشار لكلام قيل، يتسرّب طرف منه (قدر يسير)، ثم لا يلبث أن يتنامى (يتكامل).

---

(١) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (ذرأ)

(٢) الخلـيل: العيـن (ذرأ) ٨/ ١٩٣. ويـنظر كذلك: (ذرأ) فى اللسان ٢/ ١٤٩١، وتاج العروس ١/ ٢٣٤.

(٣) الأزهرى: تهذيب اللغة (ذرأ). وكذا: (ذرأ) فى أساس البلاغة ص ٢٥٢، واللسان ٢/ ١٤٩١، وتاج العروس ١/ ٢٣٣.

(٤) التاج (ذرأ) ١/ ٢٣٤

(٥) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (ذرأ).

(٦) الأزهرى: تهذيب اللغة: (خلق) ١٥/٥. وكذا : اللسان (ذرأ) ٢/ ١٤٩٢.

- وأمـــا قولهم: «ملح ذَرْآنى» : إذا كان شديد البياض[١]، فقد اعتُبر فيه ملمح «البياض» وحده المتحصِّل من قولهم: «الذَّرأ» لأول بياض الشيب[٢].

وأمـــا ذرأ فـــى القـــرآن الكـــريم ، فقد تكررت بعض استعمالاته فيه ست مـــرات[٣]، وهـــى تدخـــل جميعًا فى مجال «الخلق». وتشمل الألفاظ الآتية: «ذرأ»، و«ذرأنا»، و«ذرأكم – يذرؤكم»:

- **«ذرأ»** : وقد ورد فى آيتين:

الأولى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ ﴾ [٤].

قـــال الطـــبرى (ت٣١٠هـــــ) : «مما ذرأ» يعنى: مما **خلق** من الحرث والأنعام. يقال منه: ذرأ الله الخَلْق... إذا خَلَقهم»[٥]. وقال ابن عطية (ت٥٤٦هـــــ): «(ذرأ) معناه: **خلق وأنشأ** وبثّ فى الأرض»[٦]. وقد فسَّر «الحرث» فى هذه الآية بـــ «الزرع والأشجار وما يكون من الأرض»[٧].

الثانية: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾ [٨].

---

(١) ينظر : اللسان (ذرأ) ٢/ ١٤٩١.

(٢) ينظر: د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (ذرأ).

(٣) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٢٦٩ – ٢٧٠

(٤) الأنعام ٦/ ١٣٦.

(٥) تفسير الطبرى ٩/٥٦٨–٥٦٩. وكذا: تفسير القرطبى ٧/ ٨٩.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧.

(٧) المصدر السابق، الصفحة نفسها. وينظر كذلك: اللسان (حرث) ٢/ ٨١٩.

(٨) النحل ١٦/١٣.

قال الطبرى: «(وما ذرأ لكم) يقول: وما خلق لكم (مختلفا ألوانه) من الدوابّ، ومن الشجر والثمار»[١]. وقال ابن عطية: «(وما ذرأ لكم فى الأرض) معناه: بثّ ونَشَر... وقوله: (ألوانه) معناه: أصنافه»[٢].

- **«ذرأنا»** : وقد ورد فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ﴾ [٣].

قال ابن عطية : «(ولقد ذرأنا) خَبَرٌ من الله تعالى أنه خَلَق لسُكْنى جهنم، والاحتراق فيها، كثيرًا.. و(ذرأ) معناه: **خلق وأوجد مع بثّ ونَشْر**»[٤].

- **«ذرأكم/ يذرؤكم»**: وقد توزعتها الآيات الثلاث الآتية:

الأولى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [٥].

قال الزمخشرىّ: «(ذرأكم): **خلقكم وبثكم** بالتناسل»[٦]. وقال ابن عطية : «ذَرَأ، معناه: **بث وخلق**»[٧]. وعبارة القرطبىّ: «أى: **أنشأكم وبثكم وخلقكم**»[٨].

الثانية: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٩].

---

(١) تفسير الطبرى ١٤/ ١٨. وكذا: كشاف الزمخشرى٢/٥٧٤، وتفسير القرطبى ١٠/٨٤، والدامغانى: الوجوه والنظائر ١/٣٥٢.

(٢) المحرر الوجيز ٨/ ٣٨٤.

(٣) الأعراف ٧/١٧٩.

(٤) المحرر الوجيز ٦/١٤٩.

(٥) المؤمنون ٢٣/٧٩.

(٦) الكشاف ٣/ ١٩٤.

(٧) المحرر الوجيز ١٠/ ٣٩١.

(٨) تفسير القرطبى ١٢/ ١٤٤.

(٩) الملك ٦٧/٢٤.

قال الطبرى: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم-: قل يا محمد: الله (الذى ذرأكم فى الأرض) يقول: الله الذى **خلقكم** فى الأرض»[١]. وقال القرطبى: «أى: **خلقكم** فى الأرض.. وقيل: نشركم فيها وفرّقكم على ظهرها»[٢]. وقال أبو السعود (ت ٩٥١هـ): «أى: **خلقكم** وكثّركم فيها»[٣].

الثالثة: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ [٤].

قال الزجّاج (ت٣١١هـ): «(يذرؤكم فيه) أى: **يكثركم**، بجعله منكم ومن الأنعام أزواجا»[٥]. وقال الحليمىّ (ت٤٠٣هـ): «أى: جعلكم أزواجًا: ذكورًا وإناثًا، **لينشئكم، ويكثركم، وينميكم**»[٦]. وقال الزمخشرى (ت ٥٣٨هـ) : «(يذرؤكم): **يكثركم**. يقال: ذرأ الله الخَلْق: **بثّهم وكثّرهم**. (فيه): فى هذا التدبير. وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجًا، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالدُ والتناسل»[٧].

---

(١) تفسير الطبرى ١٣٤/٢٣. وكذلك: ابن عزيز: غريب القرآن ص٢٢٩.

(٢) تفسير القرطبى ١٨/ ٢٢٠.

(٣) تفسير أبى السعود ٩/٩. ونقله عنه الألوسى - دون عزو- فى «روح المعانى» ٢٠/٢٩.

(٤) الشورى ١١/٤٢.

(٥) معانى القرآن وإعرابه ٣٩٥/٤. وقد ذهب «الفرّاء» إلى أن معنى «فيه» فى (يذرؤكم فيه) هو «به». وعلى ذلك جاء تفسير «الزجّاج». ينظر: الفرّاء: معانى القرآن٣/ ٢٢.

(٦) القرطبى: الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٢٩.

(٧) الكشاف ٢٠٦/٤. وكذلك: السمين الحلبى: الدر المصون ٩/ ٤٥٣، وعمدة الحفّاظ ٢/ ٣٨ (فيه: «يكثّركم بالتزويج»).

وعلى ما سبق يتبين لنا:

- لـم تـرد اسـتعمالات (ذرأ)، فى التنزيل العزيز، وكلها داخلة فى مجال «الخلق»، إلا مسندة لله تعالى وحده.
- تنوعـت المصاحبات اللغوية التى وقعتْ عليها تلك الاستعمالات، فشملت: الإنـس، والجـن، والأنعـام، والحرْث (الشجر والزرع). ويجمع بين هذه المصاحبات أنها جميعا من **النوامى**. وكذا كان الشأن فى الاستعمال العربى غير القرآنى (حبوب الزرع – الشيب...)، على ما سبق بيانه.
- غلـب علـى أئمتنا تفسير استعمالات (ذرأ) هذه، على أنها تتقاسم مكوِّنين دلاليين أساسيين هما:

الخلق (= الإيجاد) + النشر (أو البث أو التكثير).

ويمـثل ذلك أكمل تمثيل قول ابن عطية – وقد مرّ– «(ذرأ) معناه : **خلق وأوجد مع بثٍّ ونَشْر**»[1].

قلت: وهذا هو التفسير الذى يتسق (لغويًّا) مع الاستعمال العربى لألفاظ هذا الجذر، حيث يمثّل مكوِّن «النشر» – أو الانتشار – مكوِّنًا أساسيًّا فيها، على ما سـبق بيانه فى صدر هذا المبحث (بدء انتشار الشيب، نثر الحَبّ...)، بل لعلّه المكـوِّن الأصل، وأن ارتباطه بمكوِّن «الخَلْق» قد تأتّى من أن «نشر» شيء ما، يلزمه «إيجاد» ذلك الشيء أولاً.

ولعـلّ مما يدعم هذه «الآصليّة»، فى الاستعمال القرآنى على الأقل، وقـوع «الـذَّرْء» علـى مصـاحبات تقبل التنامى والانتشار، كما سبق ملاحظته. كما أنّ مما قد يُستأنس به كذلك، فى هذا الصدد، أن آية سورة

---

(١) المحرر الوجيز ٦/ ١٤٩.

«المؤمـــنون» ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وكذا آيـــة سورة «الملك»: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ قد قوبـــل فـــيهما بين لفظى «الذَرْء» و«الحشر»- بمعنى: الجمع للحساب- وهذا الأخير يقابل معنى النشر والتفريق فى الأرض الحاصل فى الدنيا، والمعبَّر عنه بـــ «الذرء».

وعلـــى ذلـــك، فـــإن فيما ورد من تفسيرات للفظ «الذرء»، فيما نحن بصدده، بأنه محْض «الخَلْق» (الإيجاد)[1]، قدرًا من الاتساع والتسامح.

* * *

(١) ينظر أمثلة لهذا التفسير – فضلا عما سبق ذكره – فى: ابن عزيز: غريب القرآن ص ٢٢٩، والدامغانى: الأشباه والنظائر ١/ ٣٥٣.

٧- (ب د ع)

نص ابن فارس (ت٣٩٥هـ) على أن استعمالات الجذر (ب د ع) تدور حول معنى «**ابتداء الشيء وصُنعه لا عن مثال**»[١]. وقال الراغب الأصفهانى (ت ٤٢٥هـ تقريبا) : «الإبداع: إنشاء صَنْعة بلا احتذاء واقتداء»[٢]. وعبارة السَّمين الحلبى (ت ٧٥٦هـ): «الإبداع : الاختراع والإنشاء من غير مثال يُجرى عليه»[٣]. هـذا، مع كون ما أبدع مُعجبًا[٤]، أى: يُثير العَجَبَ: إما لطرافته، وإما لغرابته[٥].

ومن تلك الاستعمالات:

- «سقاء بديع» : جديد (فعيل بمعنى مفعول)[٦].
- «حبل بديع»: جديد – أيضًا – ابتُدئ فَتْله، ولم يكن حَبْلا قديما، فنُكث، ثم غُزِل، وأُعيد فَتْله[٧] (فعيل بمعنى مفعول كذلك).

---

(١) مقاييس اللغة (بدع) ١/ ٢١٠. ويُلاحظ أن ابن فارس قد عيّن معنًى ثانيًا تدور حوله بعض استعمالات (ب د ع)، وذلكم هو «الانقطاع والكلال» وسنتبيّن – لاحقًا- أن ما ذكره من استعمالات تدخل تحت هذا المعنى (مثل: أبدعت الراحلة : عطبت) هو مما يدخل – كذلك – تحت المعنى الأول (ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال).

(٢) المفردات ص ١١٠.

(٣) عمدة الحفاظ ١/ ١٨٩. وينظر كذلك : د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (بدع) (وفيه: «إنشاء الشيء جديدًا على غير أصل سبق»).

(٤) ينظر: الخليل : العين (بدع) ٥٤/٢، وابن سيده: المحكم (بدع) ٢/ ٢٦(فيه: «البديع: المُحدَث العجيب»)، والفيومى : المصباح المنير (بدع) ص ٣٨.

(٥) وينظر: أبو هلال العسكرى: الفروق اللغوية ص ١٥٢.

(٦) ينظر: تاج العروس (بدع) ٢٠/ ٣٠٨.

(٧) ينظر: اللسان (بدع) ١/ ٢٣٠. وكذا : الفيروزابادى: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٢٣١.

فكلاهما (السقاء / الحبل) لم يصنع على مثال تقدّم، أى على سقاء أو حبل قديميـــن وتم تجديدهما ، بل ابتدئ صُنعهما جديدين . قال الجوهرى: «أبدعتُ الشيءَ: اخترعته لا على مثال»[١].

- «أبْدَعــتْ به راحلته» : كلّت ، أو عَطِبتْ؛ فبقى راكبها منقطعًا به[٢]. يقول الزمخشــرىّ (ت ٥٣٨هــ) : «وحقيقته أنها جاءت بأمر حادث جديد»[٣]، ويقــول ابن الأثير (ت ٦٠٦هــ): «كأنه جعل انقطاعها (أى راحلته) عمّا كانت مستمرةً عليه من عادة السَّيْر إبداعًا، أى إنشاءَ أمرٍ خارج عمّا اعتيد منها»[٤].
- «أبْدَع بالسفر وبالحج»: عزم عليه[٥]. وهذا لأنه «استَحدث هذا الأمر وهذه العَزْمة»[٦].
- «فلان بِدْع فى هذا الأمر»، أى: أولُ لم يسبقه أحدٌ [٧]. وعبارة الفيّومىّ (ت ٧٧٠هــــ): «أى: هــو أول من فعله»[٨]. وقال الأزهرىّ (ت ٣٧٠هــ): «وكــل مــن أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له: أبدعتَ»[٩]. وزاد الزجاجىّ (ت

---

(١) الصحاح (بدع) ٣/ ١١٨٣.

(٢) ينظر: تاج العروس (بدع) ٢٠/ ٣١١.

(٣) أساس البلاغة (بدع) ص٣٠.

(٤) النهاية فى غريب الحديث والأثر ١/ ١٠٧. وكذا: اللسان (بدع) ١/ ٢٣٠- ٢٣١.

(٥) ينظر: (بدع) فى اللسان ١/ ٢٣١، وتاج العروس ٢٠/ ٣١٢.

(٦) د. محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (بدع).

(٧) ينظر: (بدع) فى العين ٢/ ٥٤، و اللسان ١/ ٢٣٠، وتاج العروس ٢٠/ ٣٠٨.

(٨) المصباح المنير (بدع) ص٣٨.

(٩) تهذيب اللغة (بدع) ٢/ ٢٤١.

٣٤٠هـــــ) أن يكـــون هذا الجديد المنشأ مُعجبًا فقال: «ويقال: أبدعتَ يا رجل، أى: أتيت بعَجَبٍ وأمر لم يسبق إليه أحد»[١].

- ومـــن هـــذا جاء استعمال لفظ «البِدْعة» للدلالة على ما استُحدث من أمر الدين، ممّا لم يسبق إليه السَّلَف[٢].

• **وأما (ب د ع) فى التنزيل العزيز**، فقد ترددت بعض استعمالاته فيه أربع مـــرات[٣]. ويدخل من هذه الاستعمالات فى مجال الخلق استعمالان ترددا ثلاث مرات هما: «**بديع**» و«**ابتدعوها**»[٤]:

- فأمـــا لفـــظ «**بديـــع**» فقد ورد فى الآيتين الكريمتين: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَـــى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٥]، و﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّـــى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٦].

فـــاللفظ، فى الآيتين، يتعلق بـــ«إبداعه» - جل وعزّ- للسموات والأرض. وقـــد فسّر ائمتنا هذا «الإبداع» تارة بمجرد «الإحداث» أو «الإيجاد» (أو نحوهما)، وتارة أخرى بإضافة قيد دلالى أن هذا الإحداث «ليس على مثال سبق».

---

(١) اشتقاق أسماء الله ٢/ ٢٤١.

(٢) ينظر: (بدع) فى اللسان ١/ ٢٣٠، وتاج العروس ٢٠/ ٣٠٧.

(٣) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقى: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١١٥. وينظر كذلك: د. أحمد الشرباصى: موسوعة له الأسماء الحسنى ١/ ٤٤٥- ٤٤٨.

(٤) الاستعمال الثالث هو «بِدْع» الوارد فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف ٩/٤٦].

(٥) البقرة ٢/ ١١٧.

(٦) الأنعام ٦/ ١٠١.

فمن الأول:

- قول الطبرى (ت٣١٠هـ): «(بديع السموات والأرض) يعنى: **مبتدعها ومحدثها وموجدها** بعد أن لم تكن»[١].
- وقول ابن دريد (ت٣٢١هـ): «بدعت الشيء: إذا أنشأته. والله -عز وجل- بديع السموات والأرض، أى **منشئها**»[٢].
- وقول ابن عطية (ت٥٤٦هـ): «البديع: مصروف من مبدع... والمبدع: **المخترع المنشئ**»[٣].

ومن الثانى:

- قول الزجاج (ت٣١١هـ): «وقوله: (بديع السموات والأرض) يعنى: أنشأهما **على غير حذاء ولا مثال**»[٤].
- وقول القرطبى (ت ٦٧١هـ): «..فالله - عز وجلّ - بديع السموات والأرض، أى: منشئها وموجدها ومبدعها ومخترعها **على غير حذو ولا مثال**»[٥]. وعبارة أبى السعود (ت ٩٥١هـ) «أى: مبدعها ومخترعها **بلا مثال يحتذيه، ولا قانون ينتحيه**»[٦].

• **وأما الاستعمال القرآنى الثانى، فهو لفظ «ابتدع» الوارد فى قوله** - تعالى- فى شأن أتباع عيسى عليه السلام:

---

(١) تفسير الطبرى ٩/ ٤٥٧.

(٢) جمهرة اللغة (بدع) ١/ ٢٩٨.

(٣) المحرر الوجيز ١/ ٤٦١.

(٤) معانى القرآن وإعرابه ١/ ١٩٨- ١٩٩.

(٥) تفسير القرطبى ٢/ ٨٦، وكذا: الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ص ٣٢١.

(٦) تفسير ابى السعود ١/ ١٥١.

﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ ﴾ [١].

وقــد فسِّــر ابتداعهم الرهبانية، بــ«استحداثهم» إيَّاها دون سبق تكليف. وعضَّد ذلك القرينة المقالية : ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾: قال الطبرى (ت ٣١٠هــ): «.. والرهبانية ابتدعها القومُ من أنفسهم ولم تُكتب عليهم»[٢]. وقال الزمخشــرىّ (ت٥٣٨هـــ): «(ابــتدعوها) يعــنى **أحدثوها** من عند أنفسهم ونذروهــا»[٣]، وعــبارة القرطــبىّ: «(ورهبانــية ابــتدعوها) أى: من قِبَل أنفسهم»[٤].

وعلى ما سبق يتضح لنا:

- **أن من استعمالات (ب د ع) الداخلة في مجال «الخلق»، ما جاء وصفًا لله تعالى (بديع)، وما جاء مسندًا إلى البشر (ابتدع).**
- **وقــع اســتعمال (ب د ع) الخاص بالله عز وجل، فى المرتين اللتين ورد فــيهما فى التنزيل العزيز، على مصاحب لغوى واحد عظيم الشمول، هو «السـموات والأرض». فــى حيــن وقع الاستعمال البشرى (ابتدع) على مصــاحب لغــوى شــديد الخصــوص هــو «الرهبانية». وقد عزّز تلك الخصوصــية صــبُّ هذا الاستعمال فى صيغة «افتعل» الدالة على معنى «الاتخاذ»[٥]، أى اتخذوا الرهبانية من عند أنفسهم سبيلاً ينهجونه.**

---

(١) الحديد: ٥٧/ ٢٧.

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ٤٢٨.

(٣) الكشاف ٤ / ٤٦٩.

(٤) تفسير القرطبى ١٧/ ٢٦٣.

(٥) ينظر: الرضى الأستراباذى: شرح الشافية ١/ ١٠٩.

- تفـاوتَ التفسير المقدم لــ«الإبداع» بين محض «الإيجاد» ، أو بإضافة قيد أن يكون هذا الإيجاد «على غير مثال سبق»، كما مضى بيانه.

قلــت: وإضـافة قيد «انتفاء المثال السابق» هو الصواب، وتجاوزه تسامح واتسـاع. ومما يعضد ذلك مجيءُ الاستعمال العربى القديم عليه. ومن أشهر ذلـك قولهـم: «حَبْل بديع»: إذا ابتُدئ فَتْله، أى أنه لم يكن حبلاً قديما، فأخذ ونُكِث، وغُزِل، وأُعيد فَتْله.

هــذا مع ملاحظة أن «انتفاء المثال السابق» هاهنا هو **انتفاء نسبى**؛ لأن للحـبل نظائـر سابقة. وكذا الشأن فى «الابتداع» المسند للبشر (= بعـض أتـباع عيسى عليه السلام)، فى الاستعمال القرآنى. فهو ابتداع نسـبىّ، حيـث جـاء الحكـم عليهم به، مقترنًا بتجاوزهم – فى انتهاج الرهبانـية– قيدًا خاصًّا هو ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ . ولا ينفى هذا كون هذه الرهبانية كانت منهجًا سلوكيًّا لآخرين سابقين على هؤلاء الأتباع.

وأما «الإبداع» المتصف به – سبحانه – فى الاستعمال القرآنى، فهو **إبداع مطلـق**، إذ ورد واقعًا على (السموات والأرض)، وهما مما لا مثيل لهما فى ظاهر دنيا البشر، فيُبدَع على مثالهما.

فقـيد «انـتفاء المـثال الأسبق»، إذن، قيد دلالى أساسىّ يميّز الاستعمال القـرآنىّ – وكذا العربىّ القديم– وقـد نوّه بــه كثيرون، كالزجاجـى[1] (ت ٣٤٠هــ) ، والراغب الأصفهانى[2](ت٤٢٥هــ تقريبا)، والسمين الحلبى[3](ت ٧٥٦هــ)، والمُناوى[4](ت١٠٣١هــ) وغيرهم ممن سبق ذكرهم.

---

(١) ينظر: اشتقاق أسماء الله ص ٧٣.

(٢) ينظر: المفردات ص١١٠.

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ ١/ ١٨٩.

(٤) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف ص٢٩.

٨- تلخيص وتحرير

يمكننا أن نُجمل السمات الأساسية لألفاظ مجال «الخلْق»، فى التنزيل العزيز ، من حيث عدد مرات ورودها، ومن أُسندت إليه، والمصاحبات التى وقعتْ عليها تلك الألفاظ، ثم المكوّنات الدلالية الميِّزة لكل منها – وذلك على ما سبق تفصيله – فى الجدول التالى:

الجذر	عدد مرات ورود استعمالاته فى مجال الخلق فى القرآن الكريم	من أسندت إليه هذه الاستعمالات	المصاحبات التى وقعت عليها هذه الاستعمالات	المكون الدلالى المميز لها
خ ل ق	مائتان وثمان وخمسون مرة (٢٥٨)	–الله تعالى –عيسى عليه السلام (استعمالان فقط)	– كل شيء – ما يشاء – السموات والأرض وما فيهما – الأرض (وحدها) – السموات (وحدها) – الإنسان (ومراحل تكوينه) – الجن – الأنعام – الإبل، وغيرها	التهيئة أو التقدير (اللذان يفترض أن يعقبهما الإيجاد وفقا لتلك التهيئة أو ذلك التقدير)
ن ش أ	أربع وعشرون مرة (٢٤)	– الله تعالى وحده	– البشر (إيجاد وبعثًا) – الزرع والشجر	الإنماء شيئًا فشيئًا

الجذر	عدد مرات ورود استعمالاته فى مجال الخلق فى القرآن الكريم	من أسندت إليه هذه الاستعمالات	المصاحبات التى وقعت عليها هذه الاستعمالات	المكون الدلالى المميز لها
ف ط ر	أربع عشرة مـــرة (١٤)	- الله تعالى وحده	- البشر - السموات والأرض (مقترنين دائما)	الشق (الذى يصحبه تولد شيء من أثنائه)
ب د أ	اثنتا عشرة مرة (١٢)	- الله تعالى وحده	- الخلْق	- الأولية (الإيجاد لأول مرة)
ب ر أ	ست مرات (٦)	- الله تعالى وحده	النفس البشرية	الخلوص والتمايز
ذ ر أ	ست مرات (٦)	- الله تعالى وحده	- الإنس - الجن - الأنعام - الحرث (الشجر والزرع)	البث والنشر والتكثير (العددى)
ب د ع	ثلاث مرات (٣)	- الله تعالى - أتباع عيسى عليه السلام	- السموات والأرض - الرهبانية	انتفاء المثال السابق

وعلى ذلك، فإذا قلنا إن ألفاظ هذه المجال القرآنى، تتقاسم - على نحو من الأنحاء - الدلالة العامة على معنى «الإيجاد»، **فإن بينها - بعد ذلك - فروقًا**

دلالية دقيقة، فروقًا ذات أصول فى الاستعمال العربى القديم، وصدّقها الاستعمالُ القرآنى، على نحو ما سبق بيانه فى متن البحث. ويمكننا تلخيص تلك الفروق الدلالية كما يلى:

(خ ل ق): إيجاد + على وفق تقدير سابق.

(ن ش أ): إيجاد + إنماء (نوعى) على مراحل.

(ف ط ر): إيجاد + تأتّى عن شقّ.

(ب د أ): إيجاد + لأول مرة.

(ب ر أ): إيجاد + خلوص وتمايز.

(ذ ر أ): إيجاد + بث ونشر وتكثير (كمى أو عددى).

(ب د ع): إيجاد + على غير مثال سابق.

هذا إلى تفاوت تلك الاستعمالات فيما تقع عليه من مصاحبات، عددًا ونوعًا، على نحو ما لاحظ بعض أئمتنا. ومن ذلك – مثلا- أن استعمالات (ذ رأ) و (ن ش أ) لم تقع إلا على مصاحبات من «النوامى»، أى تقبل النماء والتكثير، كالبشر، والأنعام، والشجر. وكما فى وقوع استعمالات (ب ر ء) على النفس البشرية فقط، و «الإبداع» على «السموات والأرض» وحدهما، فى حين وقع «الخلْق» على كل ذلك، أو أكثره.

قلت: فقد اتفقت -إذن- ألفاظ هذا المجال، إجمالاً، فى الدلالة العامة على معنى «الإيجاد» (إيجاد الشيء بعد أن لم يكن)، ثم هى قد تمايزت، بعد، من جهتين:

الأولى: تَميُّز كلٍّ منها، دون أخواتها، بمكون دلاليّ بعينه.

الثانية: استئثار بعضها بسياقات، أو مصاحبات، لغوية بعينها، دون سائر السياقات التى تقع فيها ألفاظ هذا المجال.

وعلى ذلك، فإذا أردنا أن نقول بتحقق علاقة دلالية بعينها، بين ألفاظ هذا المجال الدلالى القرآنى، فهى علاقة الترادف الجزئى(أو شبه الترادف)، لا

الترادف التام (أو المطلق). والفرق بين نوعى الترادف هذين، كما هو متعالم مشهور[١]، هو أن القول بحصول الترادف الجزئى بين لفظين - أو أكثر- يعنى اتفاقها فى المعنى العام، مع «انفراد كلٍ منها بخاصية دلالية لا توجد فيما سواها، بحيث يستعمل كلٌ منها فى سياقات معيّنة لا يُستخدم فيها الآخر»[٢]. وهذا هو الواقع بين ألفاظ مجال «الخلْق» القرآنى، على ما سبق تفصيل القول فيه. وأما الترادف التام (أو المطلق)، فحتى يصار إلى القول بوقوعه بين عدّة ألفاظ، فلابد من التماثل التام بينها فى المعنى، إلى جواز أن يستعمل أحدها بدل الآخر، فى كل السياقات التى قد تقع فيها هذه الألفاظ، دون أن يفضى ذلك إلى حصول تغير فى معنى الكلام. وهذا ما لم يتحقق فى ألفاظ مجال «الخلق»، محلّ دَرْسنا هاهنا.

***

(١) ينظر فى التفريق بين هذين النوعين من الترادف: د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص٢٢٠- ٢٣١، ود. حلمى خليل: الكلمة (دراسة لغوية ومعجمية) ص١٧٧- ١٨٣، ود. محمد على الخولى: علم الدلالة ص٩٣- ٩٦، وبالمر: علم الدلالة (إطار جديد) ص ٩٢-١٠٠، ود. حاكم مالك الزيادى: الترادف فى اللغة ص ٦٥- ٧٣. وغيرها كثير وافر.

(٢) د. عبد الفتاح البركاوى: فى الدلالة اللغوية ص ١٣١.

الخاتمــة

عُني هذا البحث بإنشاء درس دلالي تحليليّ، لألفاظ مجال دلاليّ بعينه، هو مجال الألفاظ الدالة على الخَلْق (= الإيجاد)، في نصٍّ بعينه، هو التنزيل العزيز؛ بغية الوقوف على السمات والفروق الدلالية لألفاظ هذا المجال. وقد خلص البحث، في هذا الصدد، إلى عدد من النتائج، يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

أولاً: انــتهى البحث إلى تعيين سبعة جذور لغوية، جاءت منها ألفاظ مجال «الخلْــق»، فــي التــنزيل العزيــز. وتلكــم هـــي: (خ ل ق)، و(ن ش أ)، و(ف ط ر)، و(ب د أ)، و(ب ر أ)، و(ذ ر أ)،و(ب د ع). وقد استهدى البحث، فــي تعيين تلك الجذور، بمراجعة كتب التفسير، والفروق اللغوية، وأسماء الله الحسنى، في المقاد الأول.

ثانــيًا: جاءت كل استعمالات (خ ل ق) مسندة – أو وصفًا – لله تعالى، إلا اســتعمالين أُسندا سيدنا عيسى – عليه السلام– وثالثًا يُفهم منه إمكان حصول الخلْق من غيره سبحانه وتعالى. وقد تميزتْ هذه الاستعمالات بمكوّن «التهيئة أو الــتقدير» الســابقين لتنفيذ شيء ما (أو إيجاده). وقد أثبت البحث– بشواهد مــتعددة – أصالة هذا المكوّن الدلالي، وأنه يمثّل مرحلةً منفصلة عن مرحلة التنفــيذ – أو الإيجـــاد – التالية له، وهي المرحلة التي شاع التعبير عنها عند العــرب بــ«الفَرْي». وقد أمكن بذلك تفسير ما ورد من استعمالات (خ ل ق) مسندًا له سبحانه، أو مسندًا لغيره تقدَّس وتنزّه.

ثالثًا: رجّح البحث أن يكون معنى «الإيجاد»، في استعمالات (خ ل ق)، قد تأتّى من الاستعمال القرآني له. وذلك لتلازم مرحلة «التقدير» ومرحلة «تنفيذ» ذلك المقدَّر، في (عملية) «الخلْق» حين تُسند له سبحانه (ولا يلزم ذلك في حق

البشـــر). فمـــن هذا التلازم (تقدير ثم إنفاذ أو إيجاد) جاء استعمال (خ ل ق) للدلالة على «الإيجاد وَفْق التقدير»، أو على محض «الإيجاد».

رابعًـــا: تمـــيزت استعمالات **(ن ش أ)** – وقد جاءت كلها مسندةً لله تعالى وحـــده- بمكوِّن **«الإنماء (الرأسى) على مراحل»** (حتى يصير المُنمَى ناشئًا). وقـــد صـــدّق هذا وقوعُ هذه الاستعمالات على مصاحبات تقبل ذلك، كالبشر، والشجر.

خامسًا: وقعت استعمالات **(ف ط ر)** – وقد جاءت كلها مسندةً أو وصفًا لله تعـــالى وحده – على مصاحبين، هما: البشر، و«السموات والأرض» مقترنين دائما. وقد حاول البحث الوقوف على مَجْلَى تحقق معنى **«الشق الذى يصحبه إيجاد شيء ما»** – وهو المعنى المحورى لهذا الجذر فى الاستعمال العربى- فى «فَطْر» السموات والأرض، و«فَطْر» الإنسان، أى إيجادهما (شقًّا):

- فأما إيجاد السموات والأرض شقًّا، فقد ربط البحث ذلك بـــ**«نظرية الانفجار الكونـــى العظـــيم»**، فـــى تفسير نشأة الكون؛ إذ ترى أن الكون كان جِرْمًا ملتـــئمًا، ثم وقع له انفجار عظيم، **فشقّه**، وأحاله سحابًا، تكونتْ منه السماء والأرض.
- وأما إيجاد الإنسان شقًّا، فقد طرح البحث بشأنه سؤالاً عن إمكان ربط ذلك بـــــ**«الانقســـام»** الأول للبويضة المخصَّبة، ذلك الانقسام الذى يعد البداية الحقيقـــية لتكوين الجنين. وإلا فإن «فَطْر» الإنسان مأخوذ من دلالة بعض اســـتعمالات (ف ط ر) علـــى «الإيجـــاد المســـتحدث»، دون لحظ لمعنى «الشق».

سادسًـــا: وقعـــت استعمالات **(ب ر أ)** – وقد جاءت كلها مسندةً لله تعالى وحـــده – علـــى مصـــاحب لغـــويّ واحـــد شديد العموم، هو لفظ «الخلْق» (=المخلوقيـــن). وقد تميزت هذه الاستعمالات بمكون «الأولية»، أى: **الإيجاد لأول مرة**. وقد صدّق هذا اقترانُ هذه الاستعمالات، فى كل سياقاتها القرآنية،

بمـــا يـــدل على الإيجاد لثانى مرة (البعث). وقد شاع التعبير عن هذا الإيجاد الـــثانى، فى تلك السياقات، بلفظ «الإعادة»، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم ٣٠/١١].

ســـابعًا: وقعت استعمالات (ب ر أ) – وقد جاءت كلها مسندةً أو وصفًا لله تعـــالى وحـــده – على مصاحب لغويّ واحد، هو النَّفْس البشرية. وقد حاول البحـــث الوقوفَ على مَجْلى تحقق معنى **«الخلوص والتمايز»**– وهو المعنى المحـــوريّ الذى دار عليه الاستعمال العربى لهذا الجذر– فى «بَرْء الإنسان» أى: خلقه أو إيجاده. رخلص البحث – من خلال بعض أقوال أئمتنا – إلى أن ذلـــك: إما لخلوصه من الاضطراب والتنافر فى التكوين، وإما لإيجاده متميزًا مستقلاً عن المادة التى **«استُخلص»** منها.

ثامـــنًا: تمـــيزت استعمالات (ذ ر أ) – وقد جاءت جميعها مسندةً لله تعالى وحـــده– بمكـــوِّن **«التـــنامى»** – أو الانتشار– (العددى أو الأفقى)، تناسلاً أو نحـــوه. وقـــد صـــدّق هذا وقوعُ تلك الاستعمالات على مصاحبات تقبل هذا الضرب من التنامى، كالإنس، والجن، والأنعام، والشجر.

تاســـعًا: جاء من (ب د ع) استعمالان ترددا ثلاث مرات: فأما أولهما، فهو لفـــظ **«بديـــع»**. وقد ورد وصفًا لله تعالى، وتكرر مرتين مع مصاحب لغوى واحـــد هـــو «السموات والأرض». وأما الثانى، فهو لفظ **«ابتدع»**. وقد ورد مسندًا لأتباع سيدنا عيسى – عليه السلام – ووقع على «الرهبانية». وقد ميّز هذيـــن الاستعمالين مكوِّن **«انتفاء المثال السابق»**: مطلقًا، فيما يتعلق بإبداعه سبحانه للسموات والأرض؛ إذ لا نظير لهما فى ظاهر دنيا البشر؛ فيبدَع على مثالهما. ونسبيًا، فيما يتعلق بابتداع هؤلاء الأتباع لـــ«الرهبانية»؛ إذ جاء هذا الحكم بالابتداع مقيدًا بشرط خاص، هو أن الله سبحانه لم يفرض تلك الرهبانية عليهم ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد ٥٧/ ٢٧]. ولا ينفى هذا أن الرهبانية كانت منهجًا سلوكيًّا انتهجه سابقون على أتباع سيدنا عيسى عليه السلام.

عاشرًا: فاقت استعمالات (خ ل ق) استعمالات الجذور الأخرى الداخلة فى مجـال «الخلْق»، من حيث عدد مرات الورود، وعدد المصاحبات وتنوُّعها، فَواقًا كبيرًا. ولعل مما يفسِّر ذلك أن معنى التهيئة – أو التقدير – وهو المكوّن المميِّز لاستعمالات (خ ل ق)، يمثِّل مرحلةً تسبق مرحلة الإيجاد غير الجزافى: علـى أى شيء وقع ذلك الإيجاد (البشر – السموات – الأرض – الأنعام ...)، وعلى أى نحو كان (لأول مرة – على غير مثال سبق ...) فلمّا كـان مـا أوجده الله تعالى – وقد أوجد كلَّ شيء– يلزمه هذا التقدير السابق، لزومَ كونه إيجادًا حكيمًا غير جزافى، فقد كثر تردد الاستعمالات المعبرة عن هذا التقدير، بكثرة ما أخبر سبحانه بأنه قد أوجده.

حـادى عشـر: انـتهى البحث إلى تقرير أن **الترادف الجزئى** – أو شبه الـترادف– هو العلاقة الدلالية الحاصلة بين ألفاظ مجال «الخلق»، فى القرآن الكـريم. وذلـك مـن حيـث تميُّز كلٍّ من هذه الألفاظ بمكوِّن دلالى خاص («الخلـق» بالتهيـئة أو الـتقدير، و«الإنشاء» بالإنماء على مراحل...)، مع اسـتئثار معظمهـا بسـياقات – أو مصـاحبات – لغوية خاصة («الإنشاء» و«الـذرء» بالـنوامى، و«الإبداع» بالسموات والأرض...) وهذان – أعنى : الاختصـاص بمكـوِّن دلاليّ مميِّز، والاستئثار ببعض السياقات اللغوية– هما أساسا القول بوقوع الترادف الجزئى، بين لفظين ، أو أكثر.

والحمد لله رب العالمين

***

مصادر البحث

- **ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد):**

١. النهاية فى غريب الحديث والأثر، تحقيق د. محمود الطناحى وطاهر الزاوى، المكتبة الإسلامية (دون تاريخ).

- **د. أحمد الشرباصى:**

٢. موسوعة لـــه الأسماء الحسنـــى، دار الجيل – بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

- **د. أحمد مختار عمر:**

٣. أسماء الله الحسنى: دراسة فى البنية والدلالة، الهيئة المصرية العامة الكتاب ٢٠٠٠م.

٤. علم الدلالة ، عالم الكتب -- القاهرة ١٩٩٨م.

- **الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد):**

٥. تهذيب اللغة، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة.

- **الألوسى (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى):**

٦. روح المعـــانى فـــى تفســير القرآن العظيم والسبع المثانى، دار إحياء التراث العربى– بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **ابن الأنبارى (أبو بكر محمد بن القاسم):**

٧. الأضـــداد، تحقـــيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة التراث العربى– وزارة الإعلام بالكويت ١٩٨٦م.

٨. الزاهـــر فـــى معـــانى كلمات الناس، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- **بالمر، فرانك:**

٩. علم الدلالة (إطار جديد)، ترجمة د. صبرى إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٢م.

- **البيضاوى (ناصر الدين عبد الله بن عمر):**

١٠. تفسير البيضاوى (= أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، بحاشية محيى الدين شيخ زاده، دار صادر – بيروت (بدون تاريخ).

- **البيهقىّ (أبو بكر أحمد بن الحسين بن على):**

١١. الأسماء والصفات، صححه الشيخ محمد زاهد الكوثرى، دار إحياء التراث العربى – بيروت (مصورة عن طبعة مطبعة السعادة المصرية ١٣٥٨هـ).

- **الثعالبى (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل):**

١٢. فقه اللغة وسر العربية، تحقيق د. خالد فهمى، مكتبة الخانجى – القاهرة ١٩٩٨م.

- **ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى):**

١٣. شرح شعر زهير بن أبى سُلْمى، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة– بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- **الجرجانى (على بن محمد):**

١٤. التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب العربى – بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على):**

١٥. نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والناظر، تحقيق محمد عبد الكريم الراضى، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

• الجوهرى (إسماعيل بن حماد):

١٦. الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

• أبو حاتم الرازى (أحمد بن حمدان):

١٧. الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق حسين بن فيض الله الهمدانى، دار الكتاب العربى - القاهرة ١٩٥٧م.

• د. حاكم مالك الزيادى:

١٨. الترادف فى اللغة، وزارة الثقافة والإعلام بالعراق ١٩٨٠م.

• د. حلمى خليل:

١٩. الكلمة (دراسة لغوية ومعجمية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨٠م.

• أبو حيان الأندلسىّ (محمد بن يوسف):

٢٠. تفسير البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ على محمد عوض، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

• الخليل بن أحمد الفراهيدى:

٢١. العين، تحقيق د. مهدى المخزومى ود. إبراهيم السامرائى ، وزارة الثقافة والإعلام - العراق ١٩٨٥م.

• الدامغانى (أبو عبد الحسين بن محمد):

٢٢. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق محمد أبو العزم الزفيتى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

• ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن):

٢٣. جمهرة اللغة، تحقيق د. رمزى منير بعلبكى، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٧م

• الراغب الأصفهانى (الحسين بن محمد):

٢٤. مفـردات غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودى، دار القلم – دمشق ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

• الرضى الأستراباذى (محمد بن الحسن):

٢٥. شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمـد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية – بيروت ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٥م.

• الزَّبيدى (محمد مرتضى):

٢٦. تـاج العروس، طبعة المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

• الزجّاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِىّ)

٢٧. معـانى القـرآن وإعرابه، تحقيق د. عبد الجليل شلبى، عالم الكتب – بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

• الزجّاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق):

٢٨. اشـتقاق أسماء الله، تحقيق د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

• د. زغلول راغب النجار:

٢٩. من آيات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم (السماء)، دار المعرفة – بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

• الزمخشرى (جار الله محمود بن عمر):

٣٠. أساس البلاغة، تحقيق د. مزيد نعيم ود. شوقى المعرّى، مكتبة لبنان – بيروت ١٩٩٨م.

٣١. الكشّــاف عــن حقــائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه الــتأويل، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٥هــ/ ١٩٩٥م.

- **أبو السعود (محمد بن محمد العمادى):**

٣٢. تفســير أبى السعود(= إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربى- بيروت ١٤١٤هــ/ ١٩٩٤م.

- ابن السِّكِّيت(أبو يوسف يعقوب بن إسحاق):

٣٣. الألفاظ، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان - بيروت ١٩٩٨م.

- **السَّمين الحلبى (أحمد بن يوسف):**

٣٤. الدُّر المصون فى علوم الكتاب الكنون، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق ١٤١٤هــ/ ١٩٩٣م.

٣٥. عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق د. محمد ألتونجى، عالم الكتب- بيروت ١٤١٤هــ/ ١٩٩٣م.

- **ابن سيده (أبو الحسن على بن إسماعيل):**

٣٦. المحكم والمحيط الأعظم، طبعة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

٣٧. المخصص، المكتب التجارى للطباعة والنشر- بيروت (دون تاريخ).

- **الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير):**

٣٨. تفسير الطبرى (= جامع البيان عن تأويل آى القرآن)، تحقيق د. عبد الله بــن عبد المحسن التركى، دار عالم الكتب - الرياض ١٤٢٤هــ/ ٢٠٠٣م.

- **د. عبدالفتاح البركاوى:**

٣٩. فى الدلالة اللغوية، القاهرة ١٤٢١هــ/ ٢٠٠٠م.

- أبو عبيد (القاسم بن سلام):

٤٠. الغريب المصنف، تحقيق د. محمد المختار العبيدى، المجمع التونسى للعلوم والآداب والفنون ١٩٩٦م.

- أبو عبيدة (معمر بن المثنّى):

٤١. مجــاز القـــرآن، تحقيق د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجى- القاهرة ١٩٩٨م.

- ابن عزيز (أبو بكر محمد بن عزيز السجستانى):

٤٢. غريب القرآن، تحقيق محمد أديب جمران، دار قتيبة – دمشق ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م.

- ابن عطية (أبو محمد عبد الحق):

٤٣. المحــرَّر الوجــيز فى تفسير الكتاب العزيز، تحقيق الرحالى الفاروق وعــبد الله عــبد العــال الأنصارى والسيد عبد العال إبراهيم ومحمد الشافعي العنانى، الدوحة ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.

- الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد):

٤٤. المقصد الأسنى (شرح أسماء الله الحسنى)، خرّج بعض أحاديثه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندى – القاهرة ١٩٨٦م.

- ابن فارس (أبو الحسين أحمد):

٤٥. مجمل اللغة، تحقيق د. زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٤٦. مقايــيس اللغــة، تحقيق الشيخ عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ١٣٦٦هـ.

• الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد):

٤٧. معـــانى القـــرآن، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبى، والشيخ محمد علـــي الـــنجار وأحمـــد يوسف نجاتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

• الفيروزابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب):

٤٨. بصـــائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز، تحقيق الشيخ محمد على النجار (الأجزاء: ١، ٢ ، ٣ ، ٤)، ومحمد عبـــد العليم الطحاوى (٥ ، ٦)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

• الفيومى (محمد بن على):

٤٩. المصـــباح المنـــير فـــى غريب الشرح الكبير، تحقيق د. عبد العظيم الشناوى، دار المعارف – مصر ١٩٧٧م.

• ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم):

٥٠. تـــأويل مشـــكل القرآن، تحقيق الشيخ السيد أحمد صقر، دار التراث- القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٥١. تفســـير غريـــب القـــرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ١٣٧٨هـ/ ١٩٧٣م.

• القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد):

٥٢. الأســـنى فـــى شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق الشيخ عرفان حسونة، المكتبة العصرية - بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥٣. تفســـير القرطـــبى (= الجامع لأحكام القرآن)، دار الكاتب العربى - القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

• د. كريم زكى حسام الدين:

٥٤. أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة (الطبعة الثانية).

٥٥. التعبـــير الاصطلاحى، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- **الكَفَوىّ (أبو البقاء أيوب بن موسى):**

٥٦. الكليات، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصرى، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- **د. محمد حسن جبل:**

٥٧. المعجم الاشتقاقى لمعانى ألفاظ القرآن الكريم (قيد الطبع بمكتبة الآداب القاهرية).

- **د. محمد حسن عبد العزيز :**

٥٨. مدخل إلى اللغة، دار الوفاء للطباعة- القاهرة ١٩٨٢م.

٥٩. المصـــاحبة فـــى التعبير اللغـــوى، دار الفكر - القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م

- **د. محمد عز الدين توفيق:**

٦٠. دليل الأنفس (بين القرآن الكريم والعلم الحديث)، دار السلام - القاهرة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

- **د. محمد على الخولى:**

٦١. علم الدلالة، دار الفلاح للنشر والتوزيع- عمّان ٢٠٠١م.

- **محمد فؤاد عبد الباقى:**

٦٢. المعجـــم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث الإسلامى (مصور عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ/ ١٩٥٤م).

- **المُناوى (محمد عبد الرؤوف):**

٦٣. التوقـــيف على مُهِمّات التعاريف، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر - دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

• ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى):

٦٤. لسان العرب، طبعة دار المعارف بمصر.

• النَّسَفى (عبد الله بن أحمد بن محمود):

٦٥. تفسير النسفى (= مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، اعتنى به عبد المجيد طعمة حلبى، دار المعرفة – بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

• ابن هَرْمة (أبو إسحاق إبراهيم بن على بن هرمة القرشى):

٦٦. ديوانه، تحقيق محمد نفاع ود. حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩م.

• أبو هلال العسكرى (الحسن بن عبد الله):

٦٧. الفروق اللغوية، علّق عليه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

• هنريكوس لامنس اليسوعى:

٦٨. فرائد اللغة فى الفروق، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ١٩٩٩م.

• ابن اليزيدى (أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك):

٦٩. غريب القرآن وتفسيره، تحقيق د. عبد الرزاق حسين، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.



فهرس الموضوعات